



جامعة النجاح الوطنية
مركز التوثيق والمخطوطات والنشر (٣٥)

يوم القدس

الندوة الخامسة
التي عقدت في
كلية الآداب

٢٨ نيسان ١٩٩٩

تحرير

د. خليل عودة

٩٥٦

٤٢

دو

١١٠٥
١١٠٧٣
١٢٧

يوم القدس

الندوة الخامسة

٢٨ نيسان ١٩٩٩



تحرير :

د. خليل عودة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	- مقدمة الكتاب، أ. د. رامي حمد الله، رئيس الجامعة
٥	- وقائع أعمال الندوة
٨	- كلمات الافتتاح
٩	- كلمة د. خليل عودة، عريف الحفل
١٢	- كلمة السيد عبد الغني عنبّتاوي، رئيس مجلس أمناء الجامعة
١٥	- كلمة الشيخ عكرمة صبري، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
٢٠	- كلمة السيد عبد الوهاب دراوشه
٢٢	- أوراق العمل المقدمة
٢٣	- د. إبراهيم الفني شكيم - معبرتا - ممرتا - نيوبلس
٣٥	- أ. عبد الرحمن المغربي آراء بعض المؤرخين الصهاينة حول الفتح الإسلامي
٤٤	- أ. حاتم محاميد العلماء المقداسة ودورهم الثقافي في دمشق في العصر الوسيط

٩٥٦,٤٤٢

نُدوة

القدس - تاريخ

القدس - ندوة

القدس - مقالات المحاضرات

مقدمة

ندوة يوم القدس الخامسة

فيسرني مرة ثانية أن أقدم لكتاب ندوة يوم القدس الخامسة التي أقامتها كلية الآداب في الجامعة عام ١٩٩٩ ، وينشرها مركز التوثيق والمخطوطات والنشر في كتاب يحمل اسم الندوة وعنوانها ، وهو الكتاب الخامس الذي يصدر ضمن سلسلة منشورات الجامعة عن يوم القدس الذي اعتادت جامعة النجاح الوطنية على إقامته في كل عام .

ويأتي نشر هذا الكتاب في وقت تتعرض فيه مدينة القدس لمحاولات طمس هويتها العربية والإسلامية ، وتغيبها عن الساحة السياسية ، وفرض واقع استثنائي عليها ، ونحن من خلال نشر هذا الكتاب ، واستمرار عقد ندوة يوم القدس نؤكد على أمرين : أولهما : استمرار الجامعة في جعل القدس في بؤرة الاهتمام الفلسطيني على المستويين الأكاديمي والشعبي ، نتواصل معها ، وتتواصل معنا في لقاء سنوي يجمع نخبة من المفكرين والسياسيين وأصحاب القرار الذين يحملون القدس أمانة في أعناقهم ، وإراثاً وطنياً وحضارياً في أعماقهم . وثانيهما : جعل هذا اليوم - على بساطته - رمزاً نؤكد فيه على حقنا في إقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس ، التي لم ولن تنسى أو تمحى من الذاكرة ، مهما تطاولت عليها أيدي العابثين ، أو نالت منها أحقادهم في غفلة من الزمن ، هي بالتأكيد ، خارج حسابات التاريخ الذي يرفض استغلال الفرص ، واختلال موازين القوى .

٦٥

٧٤

٨١

١١٢

١١٨

١٣٢

١٤٤

١٥٣

- أ. نواف العامر

القدس في أشغال المعتقلين اليدوية
معتقل مجدو - حالة دراسية

- د. محمد حسن مهدي

القدس : تاريخها العربي والإسلامي

- د. عادل الأسطة

القدس في الشعر العربي المعاصر

- د. حسام التميمي

واقع الحرم الشريف في ظل الحروب الصليبية

- أ. عباس نمر

من القرى المدمرة - القسطل ... قضاء القدس

- أ. (محمد هاشم) موسى غوشة

ساعة القدس الدقاقة

- أ. لطفي زغلول

لجنة القدس

الأهداف - التطبيقات - المنجزات

في ظل الراهنين العربي والإسلامي

- د. محمد حافظ الشريدة

القدس من عهد النبي داود حتى الفتح العمري

وقائع أعمال الندوة

عقدت في كلية الآداب بجامعة النجاح الوطنية ندوة يوم القدس الخامسة ، يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٩/٤/٢٨ ، وجاءت هذه الندوة امتداداً لندوات سابقة عقدت في الكلية على مدار السنوات الأربع الماضية .

ويأتي عقد الندوة الخامسة ليوم القدس في ظل ظروف استثنائية تعيشها مدينة القدس ، فالمؤسسات الوطنية فيها تغلق ، والشخصيات الوطنية تلاحق ، والبيوت تهدم ، والهويات تسحب ، وكل شيء في المدينة يتعرض لخطر التهويد .

وتأتي أهمية عقد هذه الندوة في أنها تضع القدس في بؤرة الاهتمام وتجعل منها منطلق التفكير للباحثين الفلسطينيين الذين يمكن لهم أن يضعوا تصوراً لما يمكن أن يكون عليه الحال ، أو لما ينبغي علينا أن نفعله في ظل هذه الظروف الصعبة التي تواجه مدينة القدس .

وقد بدأت فعاليات هذا اليوم بجلسة افتتاحية ترأسها الدكتور خليل عودة عميد كلية الآداب رئيس اللجنة التحضيرية ، الذي رحب بالحضور والمشاركين ، وبعد آيات من الذكر الحكيم رحب رئيس مجلس أمناء الجامعة السيد عبد الغني عنبتاي بالمشاركين وتمنى لهم التوفيق في أعمال الندوة ، ثم قدم الأستاذ الدكتور رامي حمد الله رئيس الجامعة كلمة إدارة الجامعة ، تحدث فيها عن أهمية عقد هذه الندوة في هذه الظروف ، ثم قدم سماحة الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس والديار الفلسطينية كلمة أشاد فيها بأهمية عقد هذه الندوات ودعا إلى الوحدة في مواجهة الأخطار التي تواجهها مدينة القدس ، وبعد ذلك قدمت جوقة الجامعة قصيدة للقدس .

وبعدها ألقى الشاعر محمود دسوقي كلمة نيابة عن السيد عبد الوهاب دراوشة ، أشاد فيها بدور جامعة النجاح الوطنية في عقد هذا اليوم ، وأكد على عروبة القدس عبر التاريخ .

ومع إصدار كتاب ندوة يوم القدس الخامسة الذي يضم بحثاً أو ملخصات بحوث قدمت في هذا اليوم ، نؤكد على أن القدس ستظل في الذاكرة الفلسطينية تعلو فوق الجراح ، وتكبر مع الألم ، وأنها لن تغيب عن سماء فلسطين ، وستظل بشوارعها الضيقة ، وأزقتها العتيقة ، ومآذنها الشامخة ، وكنائسها العامرة ، رمزاً للمحبة في ظل السيادة الفلسطينية والعلم الفلسطيني الذي يزرع نفسه بشموخ فوق ربوع هذا الوطن .

وأخيراً أتقدم من مركز التوثيق والمخطوطات والنشر بالشكر والتقدير على جهده المتواصل في نشر أوراق العمل التي تقدم في المؤتمرات والندوات العلمية التي تقيمها جامعة النجاح الوطنية ، متمنياً له وللقائمين عليه مزيداً من التوفيق والتقدم في نشر هذه البحوث وتوثيقها .

أ.د. رامي حمد الله

رئيس الجامعة

كلمة عريف الحفل

د. خليل عودة

- * سعادة السيد عبد الغني عنبتاي، رئيس مجلس أمناء الجامعة، راعي هذا اليوم
- * السيد الأستاذ الدكتور رامي حمد الله، رئيس الجامعة
- * سماحة الشيخ عكرمة صبري، مفتي القدس والديار الفلسطينية
- * السادة أعضاء مجلس أمناء الجامعة
- * السادة نواب الرئيس، عمداء الكليات، مديرو الدوائر، وأعضاء الهيئتين التدريسية والإدارية
- * الزملاء المشاركون في فعاليات هذا اليوم
- * الضيوف الأكارم، السيدات والسادة

كلمات الافتتاح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأسعد الله صباحكم ، وأهلاً بكم في رحاب جامعة النجاح الوطنية ، وفي ضيافة كلية الآداب التي تتواصل معكم في يوم القدس الذي تقيمه للسنة الخامسة على التوالي في رحاب هذه الجامعة .

ويأتي عقد هذا اليوم ، بعد أيام قليلة من الاحتفال بيوم الأرض الذي جسّد عمق الانتماء وقوة التمسك بأرضنا الفلسطينية بالرغم من محاولات القضم والتهويد ، وطمس معالمها العربية والإسلامية .

فما من شعب يحتفل بأرضه ، وما من دولة تحتفل بعاصمتها ، كما نحتفل نحن ، ولا ندعي بذلك سبقاً أو نخص أنفسنا بميزة ، ولكنها سنة اقتضتها قسوة الاحتلال ، وطول أنيابه ، وشراسته في سرقة حقوق الآخرين .

ونحن بهذه الاحتفالات نذكر أنفسنا والآخرين ، بأن الأرض هي الأرض التي لا يمكن أن تنسى ، وأن القدس هي القدس التي لا يمكن أن تغيب ، وأن الشعب الفلسطيني سيظل مزروعاً في أرضه ما بقيت أشجار الزيتون خبلى

بوعودِ العطاء ، وقبة الصخرة تعانق ضوء الشمس ، وتحكي قصة الإسراء والمعراج في جدلية أزلية لا يمكن أن يوقفها أحد ، أو أن يتناول عليها قزم .

السيدات والسادة،

القدس تُضرب اليوم بأعقاب الحراب ، وتصلب على حائط مزعوم لمبكي مصطنع ، ويلتف حول عنقها حبل من مسد ، وترج في معادلة صعبة بين القدس وأنصاف القدس ، وبين عاصمة ولا عاصمة، وبين حلم وواقع ، ووهم وحقيقة . ونحن في هذا اليوم مع بساطته وعفوية اللقاء فيه ، نتجاوز محدودية الساعات التي نقضيها في لقائنا هذا إلى رمز أعمق قد يفهمه الآخرون ، وقد يتجاهلونه مع فهمهم له ، ظناً منهم أننا لا نحسن تقدير الأمور ، ولا نعرف كيف نوظف زرعنا ليأتي أكله بعد حين .

إن التاريخ لم يعرف صراعاً على مدينة من المدن ، كما هو الصراع على مدينة القدس ، لأن القدس بعمقها التاريخي ، ورمزها الديني ، تفتح شهية الآخرين ، ليجربوا حظهم ، في مدينة ترفض أن تكون لهم ، لأنهم جاءوها على سفن من وراء البحار ، وطائرات جابت الشرق والغرب قبل أن تحلق في سماء فلسطين .

أما نحن أصحاب القدس فقد زرعنا فيها ، وجئنا من شجر طيب أصله ثابت وفرعه في السماء ، ومن كان يجهل هذه الحقائق ، فلينظر إلى شوارع القدس العتيقة ، وأزقتها الضيقة ، وحاراتها العريضة ، وأسوارها الشاهقة ، ويستمع إلى لغة أهلها ، وأصوات المؤذن فيها ، ليعرف أن الفاتحة التي تقرأ على أرواح شهداء فلسطين لا يمكن أن يقرأها أحد بالعبرية ، وأن آذان المسجد الأقصى لا يمكن أن يرفع بالإنجليزية ، وأن الكوفية العربية التي تغطي رؤوس الناس ، لا يمكن أن تكون قطعة قماش من الحجم الصغير فوق رؤوس العرب .

السيدات والسادة،

في يوم القدس الخامس ، نستذكر تاريخ المدينة المقدسة ، وهي تحكي قصة الفاروق عمر ، الذي أخذ المدينة بعهد عمرية علمت الناس من بعده كيف يكون التسامح مع الآخرين ، وكيف تحترم حقوق الناس وتسان أعراضهم ، وكيف يكون العهد في ميثاق شرف تسمو به المدينة فوق أحقاد الناس ، وتكبر بين يدي أصحابها ، وكيف تكون مدينة للسلام والمحبة ، تتعانق فيها أجراس الكنائس مع أصوات المؤذنين .

ومن بعد عمر وصلاح الدين ، تأتي عصابة من البشر أو أشباه البشر ، تأخذ عصمة المدينة بيدها ، وتمزق ميثاق الفاروق عمر ، وتضرب بعهدته عوض الحائط ، وتخلع الناس من أرضهم ، وتسد على الآخرين طريقهم إلى باحة المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، وتضرب بسيف فرعون رقاب الناس ، وتقرأ التاريخ من وراء السطور ، وتحترف مهنة التزييف والتحريف ، وتدعي ملكية المدينة ، وكأن شيئاً من الماضي لم يكن ، وكأن الأيام قد توقفت عند نشوة نصر مجنونة ، لا تعرف فلسفة التاريخ ، ولا تقدر حكمة السماء " وتلك الأيام نداولها بين الناس " .

السيدات والسادة،

مع عمق المأساة التي تعيشها مدينة القدس في هذه الأيام ، وتطاول حراب الجلادين على المؤسسات الفلسطينية ، والرموز الوطنية ، وعلى سكان المدينة الذين يستصرخون فينا نخوة المعتصم ، تنام القدس في أحضان غاصبها ، وتستسلم رغم أنفها لعلاقة زواج غير مشروع ، والغاصب ينتظر منا أن نبارك هذا الزواج ، وأن نشد على يديه ، ونقف في صف المهنيين ، ونقدم الورد ، وندفع فاتورة الحساب ، ثم نعود وكأن شيئاً لم يحدث ، وكأن القدس ليست من أصلابنا ، ولم تخرج من رحم نساتنا .

ونسوا أن سهول فلسطين ، وسفوح الكرمل ، ورمال النقب ما زالت على العهد والوعد ، تصل الرحم ، وتؤكد على عروبة النسب ، وتنتج رجالاً من أم فلسطينية لا يصيبها العقم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الأستاذ عبد الغني عنبتاوي
رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية

" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " .

* فضيلة الشيخ عكرمة صبري المحترم

* مفتي فلسطين والديار المقدسة

* حضرة الأخ عبد الوهاب دراوشة المحترم

محطة زمنية ووقفة إنسانية تاريخية ... نقفها اليوم معاً ، فيسعدني أن أرحب بكم جميعاً باسم الزملاء أعضاء مجلس الأمناء ، وباسمي شخصياً في رحاب جامعة النجاح الوطنية في ندوة القدس الخامسة ، التي تتضمن أوراقاً علمية للمتخصصين في تاريخ المدينة الخالدة ، التي ندعو الله العلي القدير أن يمدنا بعونه جميعاً حتى نتمكن من الحفاظ على طابعها العربي وصولاً بها إلى أن تعود كما كانت ويجب أن تكون عاصمة دولتنا المستقلة بإذن الله وبتصميم قادتنا وأهلنا إعادة الحق إلى نصابه .

شكراً وعرفاناً نقدمه للقائمين والمشاركين في أمور هذه الندوة، وفقكم الله جميعاً وأهلاً ومرحباً بكم مرة أخرى في جامعتكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الدكتور رامي الحمد الله
في ندوة يوم القدس الخامسة

- * سعادة السيد عبد الغني عنبتاوي، رئيس مجلس أمناء الجامعة
- * سماحة الشيخ عكرمة صبري، مفتي القدس والديار الفلسطينية
- * السيد عبد الوهاب دراوشة، رئيس الحزب الديمقراطي العربي
- * المشاركون في فعاليات ندوة يوم القدس الخامسة
- * ضيوف الجامعة
- * الحضور الكرام

يسرني باسم إدارة الجامعة أن أرحب بحضوركم ومشاركيتكم في فعاليات ندوة القدس الخامسة التي تقيمها كلية الآداب شاكراً لكم هذا الحضور ، الذي يعبر عن مكانة القدس في نفوسكم ، وعن علاقة الدم التي تصل ما بينكم وبين عاصمة دولة فلسطين .

ونحن في لقائنا هذا نؤكد على الثوابت الفلسطينية ، التي لا يختلف عليها أحد ، ونعبر عن موقفنا والتزامنا نحو القدس بأسلوب حضاري هادئ ، لأننا نعرف أن الحقائق لا تحتاج إلى برهان ، وأن النهار لا يحتاج إلى دليل ، وأن الشمس لا تغطي بغربال ، وأن الأصوات النشاز التي تسمع في كل وقت ، وتعلو في كل حين ، لا يمكن أن تغير من الحقائق شيئاً ، أو أن تطمس الآخرين .

فالقضية ليست بالادعاء ، ولكنها بصدق الانتماء ، ولا أظن أحداً أكثر انتماءً أو ولاءً للقدس منا ، فنحن الذين رفّعنا قواعد المسجد الأقصى ، ونحن الذين شيدنا أسوار القدس ، ونحن الذين زيننا قبة الصخرة ، ونحن الذين جئنا من آباء وأجداد علموا الناس كيف يكون التسامح مع الآخرين ، وكيف يزرع السلام في أرض السلام .

كلمة الشيخ عكرمة صبري

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

رئيس الهيئة الإسلامية العليا

ألقيت هذه الكلمة في ندوة يوم القدس الخامسة ، يوم الأربعاء في ٢٨/٤/١٩٩٩ م ، بدعوة من كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية بنابلس .
" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " .

- * الأخ الفاضل السيد رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية
- * الأخ الفاضل السيد رئيس الجامعة
- * أيها المنتدون ، أيها الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فإنه يسعدني أن أشارك في افتتاح ندوة يوم القدس الخامسة ، التي تقيمها كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس . وإن إقامة هذه الندوة الخامسة إن دل على شيء فإنما يدل على تنشيط الذاكرة لهذه المدينة المباركة المقدسة ، ويدل على تفعيل المثقفين وأخذ موقعهم الريادي في متابعة القدس ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، كيف لا وأن هذه المدينة تمثل جزءاً من إيماننا وعقيدتنا وحضارتنا .

أيها المنتدون، أيها الحضور الكرام،

لقد اطلعت قبل أيام قلائل على وثيقة إسرائيلية صادرة عما يسمى بجامعة الدفاع اليهودية ، والتي تحظى بدعم مباشر من الليكود الإسرائيلي ، وتم توزيع هذه

إن القدس في هذه الأيام تتعرض لمحنة من أشد المحن وأخطرهما ، فالمؤسسات فيها تغلق ، والشخصيات الوطنية تلاحق ، والبيوت تهدم ، والأرض تنهب ، والهويات تسحب ، والحفريات تلتهم الأرض ، وكل معلّم عربي يتعرض لخطر الإبادة والتهويد ، ومع أن العالم يفتح عينيه على مأساة من مآسينا ، وجرح من جراحنا في قلب أوروبا ، فإنه يغلق عينيه ، ويصم أذنيه عما يجري في القدس ، وكأن القدس خارج حسابات المجتمع الدولي ، وليست على خارطة حقوق الإنسان ، أو أنها من عالم آخر يجوز فيه ما لا يجوز للآخرين . إنها الموازنة المقلوبة في عالم مقلوب مغلوب على أمره .

ولا نقول ذلك استجداءً لرحمة ، أو طلباً لعطف ، فنحن لا نطلب الرحمة من البشر ، ولا نستعطف الآخرين ، ولكننا نتذكر في يوم القدس ما للقدس وما عليها ، لنفكر ونعيد الحسابات ، ولا أظن أحداً أقدر منكم وأنتم أصحاب الرأي والمشورة ، وأصحاب الاختصاص في أمر القدس ، من التفكير في أمرها ، فإليكم أبها الباحثون نسلم الزمام ، وإلى آرائكم وبحوثكم ستكون الكلمة التي تنير طريقنا إلى القدس .

أتمنى لكم التوفيق في أعمال ندوتكم ، وأقدم الشكر والتقدير إلى كلية الآداب ، وإلى اللجنة التحضيرية التي أعدت لهذا اليوم وإلى كل المشاركين والحضور . وأتمنى عليكم أن تخرجوا بتوصيات تحدد ملامح العمل لمستقبل واعد ينتظر منكم الكثير .

وفقكم الله، والسلام عليكم ،،

الوثيقة المليئة بالمغالطات والتحريفات على عدد من الهيئات الدولية والسفارات ، وجود مسجد بعيد هو المسجد النبوي في المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام وهي ليست في حقيقتها " وثيقة " وذلك لعدم توثيقها وعدم موضوعيتها . وأبشع وأتم التسليم ، وقد أوضح وأكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الترابط بين هذه المغالطات والتحريفات والتزييفات هو أن القدس ليست مدينة إسلامية وأن هذه المساجد الثلاثة بقوله : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، العرب اليوم يلعبون بها كورقة دينية لمساومة الإسرائيليين . أقول : إن هذه المدينة ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " متفق عليه عن الصحابي أبي سعيد الخدري قد قرر الله رب العالمين إسلاميتها ، وذلك حينما أسرى الله بنبيه وعبد محمد رضي الله عنه .

- عليه الصلاة والسلام - من مكة المكرمة إلى مدينة القدس ، ومن القدس عرج فإن اعتبار القدس في المرتبة الثالثة لا يقلل من أهميتها وقديسيتها ، به إلى السماوات العلا ، فالقدس هي المركز وهي المحور لمعجزة الإسراء وبالتالي لا نفرط بها لنتنازل عنها لليهود ، فإن التنازل عن القدس هو تنازل عن المعراج ، والمعجزة تمثل جزءاً من الإيمان ، فارتباطنا بهذه المدينة ارتباط إيماني العقيدة وهو تنازل عن مكة المكرمة والمدينة المنورة .

عقدي ، فالقرار بإسلامية القدس هو قرار رباني وليس بشرياً . ثم إن مدينة القدس هي أرض المحشر والمنشر ، ففيها يُجمع الناس وفيها يُعرضون للحساب . فعز أيها المنتدون ، أيها الحضور الكرام ، الصحابية ميمونة بنت سعد رضي الله عنها قالت : يا نبي الله ، أفتنا في بيت المقدس . فقال : أرض المحشر والمنشر ، أنتوه فصلوا فيه . رواه أحمد وأبو داود وأقول : بأن أحد الصحابة عقّب على آية الإسراء بقوله : " لو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية " لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه محققة وابن ماجه .

وبما أن يوم القيامة يمثل جزءاً من العقيدة كان ارتباط هذه الديار بالعقيدة مضاعفة . ومع ذلك فقد ورد ذكر مدينة القدس وفلسطين بمسميات أخرى في القرآن الإسلامية ، بالإضافة إلى الارتباطات التعبدية والحضارية والتاريخية والسياسية الكريمة منها قوله سبحانه وتعالى : " يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة " سورة المائدة الآية ٢١ . والأرض المقدسة هي فلسطين . وقوله عز وجل : " ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا " سورة البقرة الآية ٥٨ . والقرية هي مدينة القدس . قوله سبحانه وتعالى : " ونجينا لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " وتزعم الوثيقة الإسرائيلية أن القدس مدينة يهودية طالما أن القدس بالنسبة لسورة الأنبياء الآية ٧١ . والأرض التي بارك الله فيها هي فلسطين .

للمسلمين تأتي بالمرتبة الثالثة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة . أقول : نعم ، وهذا يجعل القدس وما حولها أكثر من مجرد تراب يعيش المسلم فوقه ، القدس تأتي بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة في القداسة ، ولكن الله سبحانه هي قاعدة أرضية مقدسة من قواعد الإسلام لا تقوم مقامها الدنيا بأسرها .

وتعالى قد ربط هذه المدن فيما بينها لا مجال للانفصام عن بعضها بعضاً ، فالآية الأولى في سورة الإسراء قد أشارت إلى المساجد الثلاثة في الإسلام كما ذكرها المفسرون فقالوا : إن المسجد الحرام في مكة المكرمة منصوص عليه ، والمسجد الأقصى المبارك في مدينة القدس منصوص عليه أيضاً ، وقد وصف المسجد الأقصى المبارك في يوم من الأيام إلى مركز ثقافي إسلامي أو عاصمة إسلامية .

- عز وجل - المسجد الأقصى بأنه الأبعد من حيث المسافة . وذلك للدلالة على

وأتساءل : هل أن مجيء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنفسه وبجسده وبروحه إلى مدينة القدس يعتبر إهمالاً لهذه المدينة ؟ هل إن الربط الروحي والإيماني وصلاة رسولنا الأعظم - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - في الأقصى إهمال للأقصى أم تمجيد له ورفع منزلة ؟ وهل مجيء عمر بن الخطاب بنفسه لاستلام مفاتيح مدينة القدس إهمال لها ؟ وهي المدينة الوحيدة التي تسلم عمر مفاتيحها ، وقطع المسافات الطوال من أجل ذلك ودخلها حين دخلها مشياً على الأقدام ، وكبر على جبل المكبر حين شاهد هذه المدينة وسجد عليه شكراً لله الذي أعانه على الوصول إليها .

وكان في معيئة العشرات من الصحابة الكرام ، فالصحابي بلال بن رباح قد رفع الأذان في جنبات المسجد الأقصى ، وكان التكبير يصل إلى عنان السماء ، وكان الصحابي عبادة بن الصامت أول قاضٍ في بيت المقدس وأقام فيها إلى أن توفاه الله في مدينة الرملة ، ونقل جثمانه إلى القدس ، حيث دفن في مقبرة الأسباط ، وبجواره دفن الصحابي شداد بن أوس ، ومن الصحابة الذين أقاموا في مدينة القدس الصحابي عياض بن غنم المكنى بأبي غنيم ، وقد أقطعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جبلاً أسماه باسم جبل أبي غنيم ، الذي استولت عليه إسرائيل مؤخراً ، وتقوم الآن بإقامة مستعمرة (هار حوماة) عليه ، مع أنه وقف إسلامي للحرم القدسي ، وما زال هذا الجبل يحمل اسم الصحابي الجليل .

أيها المنتدون، أيها الحضور الكرام،

لقد اهتم الأمويون والعباسيون والأيوبيون والمماليك والأتراك العثمانيون بعمارة الأقصى والصخرة المشرفة وبالساحات والممرات واللواوين والأروقة ، وبإقامة دور القرآن الكريم والحديث الشريف والتكايا والزوايا في أحياء مدينة القدس للدلالة على اهتمام المسلمين في هذه المدينة عبر التاريخ . ولا ننسى الفتح الصلاحي لهذه المدينة وتحررها من الإفرنج الصليبيين على يد صلاح الدين - رضي الله عنه - .

كما ننوّه بمئات الكتب التي ألقت عن مدينة القدس وفضائلها ومزاياها ، فمن هذه الكتب " فتوح بيت المقدس " لأبي حذيفة القرشي (سنة ٢٠٦هـ / سنة ٨٢١م) ، وكتاب " من نزل فلسطين من الصحابة " لموسى بن سهل (سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م) ، و " أخبار بيت المقدس " لأحمد بن خلفي السبكي ، وكتاب " مثير الغرام في تاريخ القدس والشام " لشهاب الدين المقدسي ، وغيرها من المؤلفات والكتب الزاخرة في أخبار القدس وفلسطين .

هذا غيض من فيض أيها الأخوة ، ولا نوفي مدينة القدس حقها مهما تحدثنا عنها ، لنقول للمحتلين الغاصبين أن محاولات التهويد هي محاولات مؤقتة وفاشلة ستبقى القدس هي القدس ، وسيبقى الأقصى هو الأقصى ولا يسري على الوقف مرور الزمان مهما طال ، فالاعتداءات الإسرائيلية والتجاوزات لا تسقط حقنا الشرعي في هذه المدينة ، ونعلن تمسكنا بها تمسكاً إيمانياً عقيدياً .

وأخيراً أتمنى لهذه الندوة التوفيق والنجاح ، وأشكر إدارة الجامعة وكلية الآداب والقائمين على الندوة الذين أتاحوا لي فرصة المشاركة في حفل الافتتاح ، والله الموفق ، وبارك الله فيكم جميعاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة السيد عبد الوهاب دراوشه ألقاها نيابة عن الشاعر محمود الدسوقي

كيف دون اليهود تاريخهم ؟

لا يعرف التاريخ أمة وضعت تاريخها ودونته بيدها كما فعل اليهود ، فقد صاغته في إطار من المقدسات والغيبيات ، وجعلته كله وحياً من السماء نافذاً بإرادة الله ، ومن ثم فهو فوق كل جدل ونقاش ، والهدف من ذلك كله هو اختييار بني إسرائيل واصطفائهم وتسليمهم دور البطولة على مسرح الإنسانية ، أما باقي الأمم فهي ليست إلا " غوييم " غرباء ، شخوص مكمله لملمحتهم الكبيرة .

وقد ورد في التوراة في سفر يوشع . إصحاح ٢٤ آية ٢ و ٣ " هكذا كان الرب إله إسرائيل إن آباءكم سكنوا في عبر النهر منذ الأزل ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور ، وعبدوا آلهة أخرى ، فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في أرض كنعان كلها ، وأثرت نسله وأعطيته إسحاق " ، مع أن قصة العبور هذه ترتبط بقصة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وذلك اعتماداً على ما جاء في سفر التكوين إصحاح ٣١ آية ١٧ ، ٢١ .

يتضح لنا مما جاء في سفر يوشع " فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في أرض كنعان " أن الأرض التي عبر إليها إبراهيم كان يسكنها الكنعانيون ، وهم كما هو معروف في التاريخ قبائل عربية سكنت في بلاد الشام وخاصة في فلسطين ، وهذا يفند ما يدعيه اليهود بأنهم هم سكنوا هذه البلاد قبلي أن يطأها العرب ، وأن العرب جاءوا إليها بعد الإسلام فقط ، مع أنه جاء في سفر أشعيا إصحاح ١٩ آية ١٨ ، أن النبي أشعيا ينسبهم إلى كنعان ، ويسمي اللغة العبرية نفسها لغة كنعان ، بينما جاء في التوراة على لسان موسى نفسه " كان أبي آرامياً تائهاً وليس كنعانياً " مع العلم أنه ورد في سفر التكوين إصحاح ٩ و ١٠ أن كنعان سلالة سامية أنقى في ساميتها من اليهود أنفسهم .

القدس :

كانت تسمى قديماً يبوس ، نسبة إلى أهلها اليبوسيين وهم بطن من بطون الكنعانيين العرب ، ومن أهم ملوكها " ملكي صادق " وهو أول من اختطها وبنائها ، وكان وديعاً محباً للسلام ، ومن هنا جاء اسمها أيضاً " سالم " وعرفت فيما بعد " أورسالم " أي مدينة السلام .

وقد ورد ذكرها في الكتابة الهيروغليفية المصرية والبابلية تحت اسم " يروسليمو " كما ورد ذكرها في سفر يوشع إصحاح ١٥ آية ٦٣ .

وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم لم يقدر بني يهودا على طردهم ، فسكن اليبوسيون مع بني يهودا في أورشليم حتى هذا اليوم ، ومعنى " هذا اليوم " هو الوقت الذي جمعت فيه التوراة أي بعد موت يوشع بأجيال ، وقد استطاع داود انتزاعها من أيدي اليبوسيون سنة ١٠٠٠ ق.م ، وفي سنة ٥٨٦ ق.م هاجم الآشوريون القدس ، فحربوا المدينة ، وحطموا معابدها ، وسبوا اليهود إلى بابل ، ثم تتابعت الغزوات عليها ، إلى أن افتتحها العرب المسلمون سنة ٦ هجري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، فأمنوا أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وأعطاهم عمر بن الخطاب عهداً بذلك ، وهو المعروف " بالعهد العمري " .

ومن هنا نرى أن الخليفة أدخل الإسلام إلى فلسطين ولم يدخل العرب كما تدعي إسرائيل فالأمران مختلفان تمام الاختلاف .

ونستطيع القول اعتماداً على التاريخ المدون لا الخرافي ، أن تاريخ العبريين بدأ في فلسطين سنة ١٠٣٠ ق.م ، وقد عرفت هذه الحقبة من التاريخ ملكين كبيرين فقط ، هما : داود وابنه سليمان ، الذي انتهى حكمه سنة ٩٢٠ ق.م ، وبوفاة سليمان تمزق ملك بني إسرائيل ، وأصبح الوجود العبري في فلسطين من الناحية السياسية وجوداً ضعيفاً مهدداً بالزوال ، وعلى ذلك فإن الحقبة التي قامت فيها لليهود قائمة في فلسطين القديمة لا تتعدى كلها قرناً واحداً من الزمان ، أي من ١٠٣٠ ق.م إلى ٩٢٠ ق.م ، وهذا كل ما يمكن اعتماده خلال ستة آلاف سنة (٦٠٠٠) أو تزيد من وجود الشعب الفلسطيني الأصيل في هذه البلاد .

شكيم - معبرتا

ممرتا - نيو بلس

د. إبراهيم الفني

مقدمة :

لعبت مدينة شكيم دوراً خاصاً وهاماً في تاريخ فلسطين القديمة والحديثة وكان لهذه المدينة تأثير على الحياة الاجتماعية في فلسطين، هذه المدينة ورد اسمها في سجلات المدن الذي وجد في أرشيف المدن في مصر وبداية هذا السجل كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد . موقع شكيم عبر تلال فلسطين وفر لها موقعاً طبوغرافياً قال عنه علماء الجغرافيا انه ذاك المثلث الذي يربط بين الجبال والوديان بمعنى العلو والانخفاض موقعها على الخارطة ١٧٧ - ١٧٩ . بالإضافة إلى موقع المدينة الجغرافي كان له صفة المجتمع المتماسك وكان لها أيضاً موقع سياسي بين تلك المدن الكنعانية التي كانت قائمة على تلال فلسطين ، وتبرز بين الوثائق التاريخية والجغرافية الطبيعية التي وفرت موقع المدينة بين جبلي عيبال وجرزيم.

الامبراطور فسبسيان انشأ هذه المدينة التي سماها (فلافيّا نيو بلس) أي المدينة الجديدة سنة (٧٢م). علماء الآثار قدموا ادلة كثيرة حول الربط بين الكتف الشرقي و الكتف الغربي حيث قالوا عن الكتف الغربي هو (نيوبلس) أما المدخل الشرقي فنسبه الى شكيم التي كانت قائمة على تلة قريبة من قرية بلاطة حالياً. لهذا يمكن أن نعرف شكيم بهذا المحرس الشرقي الذي يغلق الممر القادم من الشرق تجاه الغرب، هذا الممر الذي وفرته طبيعة جبال عيبال الذي لازمت نزلاته من الجهة الشمالية ذاك الممر وتلك التلة التي كانت شكيم قائمة عليها.

أوراق العمل المقدمة

إن نقطة الارتفاع في تلك النزلات تساوي ٢٠م بينما الارتفاع في التلة يساوي ٥٠٠م عن سطح البحر وتعني أن مستوى الممر الذي يشكل الوادي وذاك التل الذي يوازي موقع قرية بلاطة. المصدر المائي الذي يزود تل شكيم كان يصل عبر الجناح الشرقي والشمالي من جبل جرزيم حيث يشرف على منطقة سهلية تجاه الشرق والجنوب. هذه المنطقة السهلية التي وفرتها الطبيعة تعتبر من أهم المناطق السهلية التي تظهر في مواقع المدن العديدة التي كانت قائمة في فلسطين مدنها في فترة العصر البرونزي المتوسط. هذا المنظر الطبيعي الذي وفر بناء مدينة شكيم. بينما لو القينا نظرة على قرية بلاطة والتي بنيت حديثا وهي ملاصقة لتل شكيم. وهذا ما تم اكتشافه هو ثلث المدينة والتي كانت قاعدة علمية لاولئك الباحثين عن آثار هذه المدينة التي كتبت التاريخ من واقعها ملفها الحضاري.

شكيم اشهدت الطبيعة على مكانتها :

لو حاولنا أن نتعرف على مدى الربط الذي وفرته تلك الطرق الرئيسية بين الممرين لكل من المدخل الشرقي أي إلى مدينة شكيم والغربي الذي يخص مدينة نابلس الحالية نجد أن الطريق الرئيسية التي تربط بين القدس وموقع شكيم تمر عبر قرية بلاطة الحالية وهذا المدخل توفر عبر تلك الوقائع الهندسية التي تشبه الشكل الدائري الذي وفرته نزلات جبل عيبال. بينما القطاع الغربي وفر الربط بين المدينة والسهل الساحلي و تجاه الشمال عبر كل من سبسطية وتل دوتلن الذي يقع شرق قرية عرابة جنين.

المقطع الشرقي يربط بين المدينة ونهر الاردن ، ووادي الفارعة ، وتل الفارعة شمالا حتى تل دوتان. الرحالة الألماني تيرش كشف عن موقع تل بلاطة عام ١٩٠٢، تحدث في تقريره عن التلة التي كانت تظهر في الجهة الغربية من التل حيث شاهد أجزاء من سور المدينة وشاهد كثيرا من القطع الفخارية في تلك المنطقة. حسب تقريره ربط بين تلك البقايا وبين ما سمي بقبر يوسف الذي يقع في الجهة الشرقية من التل حتى موقع بئر يعقوب. ولهذا نجد هيلانه عندما بدأت ببناء كنيسة على بئر يعقوب عام ٣٢٤م تقع في نهاية قرية بلاطة. فمن الوقائع

التي تم العثور عليها والتي تربط بين موقع مدينة شكيم وتل الراس الممتد من قمم جبل جرزيم الذي بني عليها اليونان معبد زيوس.

الأعمدة التي تدرجت من جبل جرزيم إلى موقع بلاطة البلد حيرت العلماء بشأن مصدر هذه الأعمدة، فيما ساعد اكتشاف بقايا يونانية في موقع شكيم علماء الآثار في الربط بين تلك الأعمدة وتلك البقايا التي عرف عن تل الراس.

اكتشاف قطع نقدية يظهر عليها المعبد والدرج كان البداية في إجراء حفرة في جبل جرزيم للكشف عن معبد زيوس الميوس. أهمية وجود العصر اليوناني في تل بلاطة ارتبط باسمين هامين هما عيون ماء : الأولى، عين دفنة التي هي عين ماء تقع في موقع سجن نابلس الحالي ودفنه إحدى العائلات الكبيرة في مدينة نيوبلس، حيث نجد اسمها في مدرج نابلس وهذه العين كانت تزود تل بلاطة بالماء في فترة العصر اليوناني ٣٣١ ق.م أما الاسم الثاني فهو اسم (سخر) أي عسكر وهناك يوجد عين ماء عسكر هناك دلائل على وجود بقايا تعود على العصر اليوناني والروماني في منطقة عسكر بعد الحفريات التي أجرتها دائرة الآثار ما بين عام ١٩٧٠ - ١٩٧٢م.

قرية عسكر التي تقع شمال تل بلاطة هي أيضا حسب موقعها تتعامل مع نزلات جبل عيبال الذي يشكل المدخل الدائري الشمالي لمدينة نيوبلس. الحفريات الأثرية التي بدأت في المدينة منذ عام ١٩٦٥ - ١٩٨٦، والتي تمت بمعظمها من قبل دائرة الآثار في نابلس وتحت إشراف وإدارة مكتب مفتش آثار نابلس فقد تم الكشف عن مدينة نيوبلس الرومانية.

الحفريات الأثرية لم تكشف عن ترابط بين شكيم والعصر الروماني في نيوبلس ولكن هذه الحفريات كشفت عن ترابط بين شكيم والعصر اليوناني. الطبقات الأرضية التي تخص شكيم هي ٢٣ طبقة حضارية هذا السلم يمكن أن يؤرخ به أيضا موقع نيوبلس - أي نابلس في العصر اليوناني - الروماني والبيزنطي والإسلامي والصليبي.

تل بلاطة :

العصر اليوناني له أربع طبقات أرضية بدايتها من ٣٣١ ق.م وحتى ١٠٧ ق.م الطبقة الأولى في تل بلاطة أي من رقم ١ - إلى رقم ٤ هي يونانية.

الطبقة رقم ٥ هي طبقة فارسية تم تحديدها من معطيات المواد الفخارية التي في تل بلاطة والتي كانت قليلة جداً حيث لم يتم الكشف عن أبنية وبقايا معمارية تعود للعصر الفارسي في تل بلاطة. هذا العصر بدأ في موقع شكيم ما بين ٧٢١ - ق.م لغاية ٣٣١ بقايا هذا العصر وجدت في موقع تل صوفر الذي يقع غرب المدينة.

العصر الحديدي له ثلاث طبقات في تل بلاطة أي الطبقة (٦-٧-٨) هذه الطبقات تمثل فترات غير متقاربة حيث يوجد فواصل زمنية بين تلك الفترات. هذه الطبقات تمثل الفترات التاريخية ما بين ٩٧٥ ق.م إلى فترة ٦٠٠ ق.م الطبقة رقم (٩-١٠-١١) تعود لفترة العصر البرونزي المتأخر حيث تم الكشف عن بقايا كثيرة تعود لهذه الفترة حيث تعرض هذه الفترة ذلك التداخل الذي يحاول علماء الآثار الإسرائيليون فرضه من واقع أن العصر الحديدي الأول يبدأ من فترة القرن الثاني عشر قبل الميلاد، لذا تعود الطبقة رقم (٩-١٠-١١) لفترة العصر البرونزي المتوسط.

العصر البرونزي المتوسط في موقع مدينة شكيم يظهر أن هذا العصر هو الذي تم فيه بناء المدينة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. كما دلت الحفريات التي تمت في عام ١٩٧٣ حيث حددت الطبقات الأرضية التي تعود لهذا العصر بسبب طبقات أرضية هي (١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧) هذه الفترة تظهر عبر فترة قوة المدينة وعظمتها. حيث كانت المركز الرئيسي الذي يجمع بين المدن الكنعانية من جهة ومن جهة أخرى كانت المدينة صاحبة القرار السياسي لعدة مدن كنعانية. حيث المركزية تعني الإدارة ومن هذه المدن التي كانت تعتمد القرار الذي يصدر عن شكيم - القدس - مجدو - جيزر - منطقة الخليل ممثلة بمدينة لاخيتس (وبلا) التي تقع عبر الأردن.

هذه الطبقات تمثل الفترات الحضارية حسب جدول المواد الفخارية والأبنية والأرضيات والمعبد حيث تم تأريخها من ١٤٥٠ ق.م إلى ١٩٠٠ ق.م الأعمال التي جرت في تل بلاطة كشفت عن بداية انتقال حضاري بين فترة العصر البرونزي المتوسط والمتقدم حيث تم العثور على مواد فخارية ١٩٠٠ ق.م - ٣٣٠٠ ق.م.

هذه المعطيات منحت الطبقات الأرضية رقم (١٩ و ٢٠).

العصر البرونزي المتقدم :

تم الكشف عنه في موقع التل من بقايا فخارية وبعض الحفر التي تعود لهذا العصر ولكن في عام ١٩٦٨ تم الحفر في موقع التنانير بالتعاون مع المدرسة الأمريكية للآثار حيث تم الكشف عن بقايا بنائية تعود لفترة العصر البرونزي المتقدم في موقع التنانير وفي عام ١٩٧٦ عثرنا على بعض المقابر التي تعود لفترة العصر البرونزي المتقدم في موقع (تل بيوض) الذي يقع غرب شمال تل بلاطة، هذا العصر منح حسب الطبقات الأرضية طبقتين هما (٢١-٢٢) وهما تمثلان الفترة التاريخية ما بين ١٩٠٠ ق.م ٣٣٠٠ ق.م.

العصر الحجري في شكيم الطبقة (٢٣) (٣٥٠٠ ق.م - ٤٠٠٠ ق.م) في موقع قريب من حقل الحفر رقم (٧) تم الكشف عن بقايا تعود لهذا العصر مع قطع فخارية تعود لهذا العصر. لكن في الحفريات في تل بيوض عثرنا على مقابر تعود لهذا العصر مما يؤكد أن تل شكيم كان قد استوطن في فترة العصر الحجري والذي يمكن اعتبار أول سكن به عبر نمط العصور الحضارية قد بدأ في فترة العصر الحجري، أي ٤٠٠٠ ق.م.

في منطقة منخفضة من تل بلاطة أي المنطقة التي تقع أسفل البرج والمعبد تم الكشف عن بقايا تعود إلى فترة العصر الحجري والعصر البرونزي المتقدم مما يدل على أنه في هذا العصر كان يتم الاختيار عبر الأماكن المنخفضة وهذه المنطقة قريبة من موقع عين بلاطة.

فلافيا نيوبلس :

بنيت في النزلات الشمالية من جبل جرزيم وهي بهذا الموقع تكون قد أقيمت في موقع يحيط به شكيم الكنعانية والفارسية واليونانية.

المخطوطات تتحدث عن ثلاثة أسماء تربط بين شكيم ونيوبلس هذه الاسماء هي شكيم - معبرتا التي أوردها جوزفيس ولكن (بلني) قدمها باسم ممرتا. نيوبلس بنيت ما بين أعوام ٧٢-٧٣ م من قبل عائلة (فلافيان) التي كانت تخص الإمبراطورية الرومانية. فاسبسيان الذي بنى المدينة مباشرة بعد تدمير التمرد في القدس والذي انتهى عام (٧٠م) الأدلة على التواريخ والمعلومات يظهر على القطع النقدية التي تخص نيوبلس.

القطع النقدية التي صدرت في عصر الإمبراطور (ديتيان) ابن فاسبسيان عام ٨١ - ٩٦ م هذه القطع النقدية تحمل تاريخ ١١ - ٥١ من تاريخ بناء المدينة وإقامتها، تحول كبير حصل في المدينة في فترة الإمبراطور ماركوس ارلنوس الذي أدخل إلى المدينة صفة مدينة فيها موصفات المدينة الإمبراطورية وهذا تم في عام ١٦١م أي بعد (٨٩ سنة من إقامة المدينة).

الاسم الرسمي للمدينة والذي يظهر على القطع النقدية حسب النص الآتي (فلافيا نيوبلس) هذا يؤكد أن عائلة الفلفيان هي التي بنت المدينة وفي فترة القضاء على التمرد الذي قام به اليهود في القدس. حول وضع السامريين في الفترة اليونانية المكابية وحتى الرومانية يبرز في جبل جرزيم الذي هو المكان المقدس لدى السامريين عندما كان السامريون في سبسطية نجد أن قبلتهم كانت إلى جبل جرزيم وعندما نقلهم الإسكندر المكدوني من سبسطية إلى نابلس بعد تمردهم على القيادة اليونانية عام ٣٣١ ق.م وقتلهم قائد الإسكندر (اندورماخوس) أتاح لهم إقامة نمط معماري على الطريقة اليونانية في كل من تل بلاطة وجبل جرزيم وهذا يظهر في خربة (لوزة) القريبة من موقع كنيسة (زنو) القائمة على جبل جرزيم ما بين ٣٣١ ق.م - ١٠٧ ق.م كان للسامريين قوة لا يستهان بها لهذا زحف المكان (جان هركليز) إلى موقع جبل جرزيم ودمر المعبد القائم على جبل جرزيم ودمر مدينة شكيم ودمر سبسطية. في هذه الفترة أي ما بين ١٠٧ ق.م إلى ٧٠ ق.م لم يعرف المؤرخون ولا علماء الآثار كيف كانت شكيم في تلك الفترة. الكشف الأثري

عبر فحص أماكن كثيرة تحيط بتل بلاطة تم فحص بقايا هذه العصور التي تم الكشف عنها في موقع مدينة شكيم في موقع (خربة الفوقا) التي تبعد عن شكيم (٤ كيلو) تجاه الجنوب تم العثور على موقع حضاري يعود إلى فترة العصر البرونزي المتقدم، وهذا الموقع يرتبط مع موقع التنانير القريب منه حيث تم الكشف عن بقايا تعود لفترة هذا العصر في نزلات جبل جرزيم.

الحفريات التي تمت في موقع تل بلاطة أي (شكيم) والتي بدأت منذ عام ١٩١٢ واستمرت لغاية ١٩٧٦ كشفت عن الكثير من المعلومات الهامة عن المدينة في تلك الفترات المتقدمة من تاريخ المدينة عبر الحفريات الأثرية. ولكن هناك سجلات الوثائق التي تتحدث عن مدينة قوية وذات سيادة ولم ترسخ إلى الكثير من الأحداث عبر تلك الفترات الحضارية. سجل المدن الذي اكتشف في مصر والذي يخص المدينة يتحدث عن مدينة قوية في فترة القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

وفي فترة (العمارنة) نجد الأرشيف الخاص بشكيم وملكها (لبؤيا) المكان الأول عبر تلك الرسائل المتبادلة بين (امنحوتب) وملك شكيم ومن أدبيات تلك الرسائل نستطيع أن نتعرف على هذه المدينة عبر نمطها الحضاري وعبر سيطرتها على المنطقة المحيطة بها. وعبر امتداد نفوذها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، و ما أفرزته الحفريات كان يتطابق مع ذاك السجل الأثري الذي يخص المدينة إن كان عبر الوثائق المصرية أو وثائق لاخيتس لهذا صنف علماء الآثار (شكيم) بالعاصمة غير المتوجه لفلسطين.

ما يجمع بين شكيم ونيوبلس :

ما يجمع بين كل من الموقعين تلك الأرض الزراعية الخصبة التي تحيط بالموقعين من جميع الجهات وما يجمع بينهما تلك العيون والوديان ومصادر الماء التي تم استخدامها في كل من شكيم وفلافيا نيوبلس. وما جمع بينهما هو بناء المدينة الجديدة في نزلات جبل جرزيم وليس في نزلات جبل عيبال.

وهذا ما يوازي شكيم التي بنيت في موقع اقرب منه إلى نزلات جبل جرزيم حيث احتلت قرية بلاطة ثلث مدينة شكيم القديمة.

الذي تم في (تل الحلو) ومنطقة الياسمينة قدم الدليل على أن موقع المدينة كان في (تل الحلو) الذي يقع في مدرسة جمال عبد الناصر يذكرها الرحالة باسم ممرتا ولكن جوزفيس يذكرها باسم معبرتا وهذا الاسم كـي يضعها حسب التسمية اليهودية.

بعض الرحالة قال إنها كانت قرية صغيرة وكانت قائمة بالقرب من بئر يعقوب الذي أطلقوا عليه بئر السامرية، وحسب النصوص نجد قصة عيسى السلام مع المرأة السامرية لكن الدلائل الأثرية والحفريات قدمت أجوبة إلى أسئلة كثيرة عن وضع المدينة ما بين ١٠٧ إلى ٧٠ ق.م الأبنية والنمط المعماري الذي برز في تل الحلو.

ما ذكره جوزفيس وغيره من المؤرخين حول قصة (سنبلات) وغيره وعلاقته مع اليونان وعن علاقة السمرة مع هارديان، ووصف اليهود له بأنهم (صيداويون) أي أنهم ليسوا من سكان المدينة، كل هذه المداخلات عارية عن الحقيقة والهدف من طرحها رسم جذور أثرية للمدينة عبر فترة المكابية، حيث نجد (اسحاق ماجق) يكتب في مجلة (المحنة) (شكيم عبر حشمنوتي) ويعني ذلك أن شكيم مدينة مكابية. أيضا هناك يهودي آخر يحفر الآن في جبل عيبال في خربة منيعة ويدعى بأنه يبحث عن معبد يوشع وماجن ويبحث في جبل جرزيم عن المعبد السامري الذي أقيم بالفرضية فوق الكنيسة البيزنطية التي بناها الامبراطور (زيو) في جبل جرزيم وبناها الإمبراطور جوستينيان، وفي هذه الكنيسة توجت الامبراطورة اوجستينا نفسها عام (٥٢٩) وسكت قطع نقدية ذهبية بهذه المناسبة.

محاولات المؤرخين فصل الوقائع الأثرية التي تخص كل من شكيم ونيوبلس عن بعضها البعض هي محاولات للربط بين تاريخ اليهودية وحقوقهم في المدينة إذ كان هذا الربط بين القصص الغربية أو الإرث الحضاري الذي يتمثل بموقع (قبر يوسف) أو بئر يعقوب. نيوبلس زهرة كمدينة قوية وحصينة في نهاية

القرن الأول الميلادي، هناك في بداية القرن الثاني الميلادي حيث بدأت تظهر الأبنية الكبيرة في المدينة ومن هذه الأبنية الكبيرة (الهيدروم) ملعب سباق الخيل والمدرج في راس العين وإقامة شوارع معقدة وإقامة أحياء لها صفة الأحياء التي كانت قائمة في الإمبراطورية الرومانية.

يدعم طرحنا هذا تلك الكتابة التي كانت تخص أحد حكام نيوبلس في العصر الروماني والذي يدعى (افسيوس) وهذه الكتابة وجدت في آسيا الصغرى هذه الكتابة تمت تحت شرف (بمبوس فالكو) الذي كان حاكما لفلسطين ما بين ١٠٥ - ١٠٧م حسب النص نجد ذكر لأسماء العائلات والتي لها صفة العائلة الرومانية. وقد أقيم في هذه المناسبة تمثال للحكام في المدينة ما بين ١٢٣ - ١٢٤م. الإمبراطور هادريان الذي كان له الفضل في توسيع المدينة وبنائها على درجة هامة من المدن الرومانية وتوجد الكتابات الكثيرة التي تشير إلى هادريان وانطونيوس بيوس الذي خلف هادريان كتابة أخرى وجدت في (كاريا) أيضا في آسيا الصغرى وهذه الكتابة تعود إلى فترة ماركوس ارينوس ١٦٥م تشير إلى شخصية هامة في المجلس البلدي في نابلس والذي يعرف (برجل اثينا).

معبد زيوس أعيد إلى الخدمة في عصر هادريان حسب القطع النقدية التي ظهرت في عصر الإمبراطور (بيوس) ولكن تاريخ هذا المعبد يظهر على القطع النقدية وحيث تشير إلى فترة الامبراطور هادريان. هناك أيضا كشف هام ظهر في نزلات جبل جرزيم هذا الكشف تمثل بقاعة (التربيود) الذي يعرف بالوفاء بالنذر هذه القاعدة مع المستطيلات الستة تعود إلى معبد زيوس في فترة العصر اليوناني الكتابات التي تظهر على المستطيلات هي وقائع شعرية وأحداث تعود إلى المدينة نشرت في وقائع نابلس.

في نهاية القرن الثاني كانت نيوبلس مسرحا للأحداث الدامية حيث وقف إلى جانب الإمبراطور (نيجر) سفاريوس الذي طور المدينة. ولكن الأهمية التي نالتها المدينة كانت في عصر ابن سفاريوس الآخر الذي لقبه بفيليب العرب الذي منح المدينة درجة كولوني سنة (٢٤٤م).

الاسم الجديد الذي ظهر على قطع نقدية تخص نيوبلس في عصر فيليبس العرب Colonia- Flavia Julia Sergia Neapolis.

عدد كبير من القطع النقدية التي تعود إلى كولوني نيوبلس سكّت وكتبّت باللاتينية وليس باليونانية القديمة، القطع النقدية التي تخص نيوبلس في فترة منتصف القرن الثاني ميلادي كانت معظمها تمثل النمط العسكري، وهذا يتضح من بناء المدرج الدائري الذي كان يمثل الفترة العسكرية في المدينة. الوقائع الأثرية التي تخص نيوبلس في فترة القرن الثالث والرابع ميلادي حسب ما ذكره المؤرخ الروماني (امانيوس ماركيوس) الذي عاش في فترة القرن الرابع ميلادي في نابلس، حيث ذكر نيوبلس بأنها كانت من أكبر المدن الرومانية في فلسطين، وعرفت بعظمتها من خلال معبدها الروماني الذي كان قائماً على جبل جرزيم حتى فترة القرن الرابع ميلادي، في تلك الفترة أي القرن الرابع كانت البيزنطية قد برزت في نيوبلس وتم إقامة كنيسة كبيرة على جبل جرزيم سنة ٤٨٤ أقيمت كنيسة (ماري) أي مريم، هذه الكنيسة بناها الإمبراطور زينو بعد تمرد السمرة حيث حرمهم من الصعود إلى جبل جرزيم، وفي تلك الفترة مكث السامريون في نزلات جبل جرزيم أي ما سمي (بالتناير) التي سميت باسم التنور الذي هو نمط سامري في طقوسهم.

الحفريات الأثرية التي أجريت في المدينة ما بين الأعوام ١٩٦٥ - ١٩٨٦، كشفت عن جذور المدينة الرومانية حسب خرائط مادبا، حيث تم الكشف عن المدرج، الهبدروم، المدرج الدائري، المقابر الأثرية، سور المدينة، شارع الأعمدة.

مخطط المدينة والأبنية التي كانت قائمة في فترة العصر الروماني والبيزنطي :

تظهر نيوبلس ضمن خارطة مادبا التي اكتشفت في كنيسة، وهذه الخارطة تمثل عشر مدن في فلسطين، الباحث الفرنسي الذي بحث في هذه الخرائط وأجرى بحثاً ميدانياً في المدن التي تخص هذه الخرائط (ابل) يمكن أن يكون الباحث الأول الذي أجرى هذا البحث.

الباحث الفرنسي حلل المادة الأثرية في الخارطة وربطها مع الواقع الحالي في المدينة وقدم مقارنة بين الوضع الذي قدمته الخارطة وما هو قائم الآن، أي في عام ١٩٢٣، ابل يعترف بأن نابلس في العصر الروماني كانت أكبر مما هي عليه في عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣، وهذا برز في بحثه.

نيوبلس بنيت على المنخفضات الشمالية لجبل جرزيم طولها يبلغ ١٥٠٠م وعرضها يساوي ٧٠٠م ومنطقتها تغطي ٢٥٠، امتدادها تجاه الشمال كان ما يسمى اليوم بشارع فيصل، الحدود الخارجية للمدينة حددت بالطريق الشرقي الغربي حيث كل من الشرق والغرب يعتبران المدخل والمخرج للمدينة الرومانية والمدينة الحالية. شمال هذه الطريق كانت المقبرة التي كانت تتعامل مع نزلات عيال، جنوب هذه الطريق كان سور المدينة وتم اكتشاف الكثير من الأضرحة المكتوبة والتي وجدت في موقع محطة الحجاز، وهذه النصب كانت تخص الضباط الكبار. ملعب سباق الخيل والمدرج الدائري تم اكتشافهما في الجهة الغربية من المدينة. هذه المرافق أقيمت خارج سور المدينة ولكن ليس بعيداً عنه بل بجانبه. شمال ملعب سباق الخيل اكتشفنا مقبرة أثرية جميلة تحوي أربع وثلاثين تابوتاً معظمها مزخرف، وتتكون هذه المقبرة من ثلاث غرف وقاعة، وتم اكتشافها عام ١٩٦٥ وهي تعود لفترة القرن الثاني الميلادي.

حسب خارطة مادبا وحسب ما أفرزته الحفريات نجد أن حدود المدينة في الجهة الجنوبية كان يعتمد على تلك الأحياء التي أقيمت على مستوى نزلات جبل جرزيم والتي أقيمت عبر خطة تغطي عرض المدينة، نقطة الربط بين كل من الغرب والجنوب هي نبع رأس العين، حيث ينطلق سور المدينة من نبع رأس العين تجاه الشرق حتى موقع المدرج ويستمر بالاتجاه الجنوبي حتى موقع جامع العامود، وكان هناك طاحونة هواء كل من سور المدينة والمدرج يظهران في خارطة مادبا. أيضاً سور المدينة يغطي الجهة الشرقية حتى البوابة التي وجدت في شارع عمان موقع الساحة التي تقع خلف محطة الكهرباء وعبر هذه المنطقة يوجد الشارع المعمد.

آراء بعض المؤرخين الصهاينة حول الفتح الإسلامي لمدينة بيت المقدس

أ. عبد الرحمن المغربي

الفتح الروحي لمدينة بيت المقدس :

دخلت فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة في الوجدان الإسلامي قبل فتح هذه المدينة عسكرياً في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك عندما أسري بالرسول الكريم من مكة المكرمة إلى بيت المقدس.

قال تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" (١).

وتعد هذه الحادثة هي الفتح الروحي لهذه المدينة خاصة وللفلسطين عامة، وبداية الارتباط الديني بهذه الأرض التي بارك الله حولها (٢).

كما أن الرسول عليه السلام قد أضفى أهمية خاصة على مدينة بيت المقدس، من خلال عدة أحاديث نبوية شريفة منها الحديث الشريف: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس)، وقد ورد هذا الحديث بعدة صيغ مختلفة، إضافة إلى أحاديث أخرى تبين فضل الصلاة في المسجد الأقصى، والتي تربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام والمسجد

من البوابة التي تظهر في خلة العامود سور المدينة يستمر حتى البوابة الرئيسية التي تقع خارج عين دفنة والسجن كما شرحنا حسب الخارطة لم نتعرف على حدود المدينة في الجهة الغربية لأن هذا الجزء مفقود ولكن اكتشاف بعض الرافات والمقابر في منطقة (الشويطرة) أي في موقع دار النابلسي موقع النجاء القديمة حيث تم العثور على مقابر كثيرة مما يدل أن تلك المنطقة كانت خارج سور المدينة.

البقايا التي تم اكتشافها في موقع الكركون تعود إلى أحد الأبراج الذي كان جزءاً من البوابة والتي كانت في موقع المدرسة الفاطمية.

الشارع المعمد الذي يظهر في الخارطة يقطع المدينة من الشرق تجاه الغرب وهذا الشارع كان يمتد على طول المدينة من البوابة الشرقية وحتى البوابة الغربية. ابل قدم عين القريون وكأنها تلك الإشارة التي تخص المدرج والتي تظهر في مآدبا.

النبوي، وتجعل من بيت المقدس مدينة إسلامية مقدسة إلى جانب مكة المكرمة والمدينة المنورة^(٣).

وكانت مدينة بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى^(٤)، ولم يقلل من مكانتها تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، فقد بقيت تتمتع بمكانة كبيرة في قلوب المسلمين في كل مكان، وعزز مكانتها فتحها سلماً على يد الخليفة عمر بن الخطاب، وكتابة العهدة العمرية لأهلها بعد الفتح.

آراء بعض المؤرخين الصهاينة في الفتح الإسلامي لبيت المقدس :

بين الحين والآخر يخرج علينا بعض المؤرخين الصهاينة محاولين الطعن في الوجود العربي الإسلامي بهذه المدينة، والتقليل من أهميتها ومكانتها عند المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي كافة، خاصة وأن أهدافهم واضحة وهي الطعن في أحقية العرب والمسلمين في هذه المدينة ومن هؤلاء المؤرخين :

١- غويتن Gioitein :

وقد طرح الآراء الآتية :

- أن القدس كانت في منأى عن الفتح العربي، وأن البدو يسعون لمهاجمة الأماكن التي كانوا يترددون عليها لأغراض التجارة^(٥).

- يتحدث غويتن عن فتح بيت المقدس ويقول "إن تحول المدينة المقدسة من الهيمنة المسيحية إلى الإسلامية بعث ميلاً إلى كتابة التاريخ؛ وهو ميل قوي مع الأجيال التابعة، فزين الفتح العربي بأساطير وحكايات متخيلة ورد فيها أنه لم يشترك في الفتح في مراحل المختلفة إلا ألمع القادة العسكريين، وأنه عندما أوشكت المدينة على السقوط أصر الأهالي على أن يأتي الخليفة عمر من الجزيرة العربية البعيدة ليتسلم المدينة بنفسه...، وتبعاً لهذه الحكايات المتخيلة فإننا نرافق عمر في دخوله المدينة المقدسة فنسمع ما يقول وما يقال له، ونطلع على تفاصيل عهوده واتفاقاته مع الأهالي، والواقع فإنه بسبب ضآلة الأهمية الاستراتيجية والإدارية للمدينة لم يبق من الأخبار الصحيحة عن مراحل الفتح الإسلامي والقرون الأولى من حياة المدينة في عهد الحكم الإسلامي إلا شيء قليل جداً..."^(٦).

ويحلل غويتن روايات فتح بيت المقدس ويقسمها إلى أربعة أقسام كالاتي :

١. أسبق الروايات وأكثرها موثوقية هي: رواية البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

في كتابه فتوح البلدان الذي يذكر أن المدينة سلمت إلى خالد بن ثابت الفهري، الذي استلم المدينة شرط أن تكون الأراضي المحيطة بها في أيدي المسلمين، وأن لا يطال سكان المدينة أذى ما داموا يدفعون الجزية المفروضة عليهم.

ويرى غويتن في هذا السياق أن العهدة العمرية لا وجود لها وأن سكوت البلاذري عنها يوحي بأنها مزورة، وأن عمر بن الخطاب كان في شبه الجزيرة العربية وقت فتح بيت المقدس، وأنه زار المدينة بعد ذلك بوقت قصير عندما كان الجيش العربي الرئيس في الجابية^(٧).

٢. الفئة الثانية من الروايات يوردها كل من اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) وابن البطريق (ت ٩٣٣ - ٩٤٠م) وهي تشير إشارة مختصرة إلى العهدة، ولكنها لا تختلف في جوهرها عن رواية البلاذري ويعتبرها أيضاً من الروايات الموثوقة عن فتح بيت المقدس^(٨).

٣. الفئة الثالثة من الروايات التي تتصل بوجود عهدة عمرية وإن لم تنص كلها على أنه (لا يعيش يهودي بينهم) وأصحاب هذه الروايات نصارى، ونجد هذه الرواية أيضاً عند الطبري (ت ٣١١هـ / ٩٢٢م)، وابن الفركاح (ت ٧٢٩هـ / ٣٢٩م) في كتابة باعث النفوس والسيوطي (ت ٨٨٠هـ / ٤٧٥م) في كتابة إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى، ويطعن غويتن برواية الطبري على اعتبار أن راويها سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م) قليل الموثوقية^(٩).

٤. الفئة الرابعة تشير صراحة إلى العهدة العمرية ضمن معاهدة فتح بيت المقدس في إشارة منه إلى مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)^(١٠).

٢- قسطنتر M. J. Kister :

يناقش موضوع بيت المقدس كالاتي :

- إن الحرمة والتعظيم يقتصر على مكة المكرمة والمدينة المنورة معتمداً على حديث للرسول عليه السلام عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قوله : " أنا

الحقيقة عن فتح بيت المقدس :

لئن كنت أرى الاختصار في عرض ما كتبه بعض المؤرخين الصهاينة، فإنني أود فتح الطريق للعديد من المؤرخين الفلسطينيين لدراسة ما كتبه المؤرخين الصهاينة، والرد عليه والتعمق به وبحته بطريقة علمية ومنهجية، وأرى لزماً علي أن أؤكد على ما يلي :

- إن أهمية القدس ومكانتها الدينية لا مجال للنقاش فيها، وذلك بعد أن أسرى بالرسول الكريم منها إلى السماوات العلى وأنها أرض مباركة كما ورد في سورة الإسراء.

- إن عدد من المؤرخين الصهاينة أعتمد على بعض الروايات وحاول أيضاً أن ينتقي بعض الروايات التي تتفق وأهدافه أو مراميه ، فعلى سبيل المثال اختار غويتن الرواية الثانية من البلاذري ولم يشر إلى الرواية الأولى التي تؤكد وجود عهدة عمرية وزيارة عمر بن الخطاب لهذه المدينة .وسأقوم بإيراد الروايتين من أجل توضيح الحقيقة، الرواية الأولى : "وفتح عمرو رفح، على مثل ذلك. وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قنسرين ونواحيها وذلك في سنة ١٦، وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس، فيقال : إنه وجهه إلى انطاكية من إيلياء^(١٥)، وقد غدر أهلها ففتحها، ثم عاد فأقام يومين أو ثلاثة، ثم طلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الأمان والصلح، على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام، من الجزية، والخراج والدخول في ما دخل فيه نظراًؤهم، على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق، ثم صار إلى إيلياء، فأنفذ صلح أهلها، وكتب لهم به وكان فتح إيلياء في سنة ١٧. وقد روي في فتح إيلياء وجه آخر.

الرواية الثانية : حدثني القاسم بن سلام، قال حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث ابن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهري إلى بيت المقدس في جيش، وهو يومئذ بالجابية فقاتلهم فأعطوه على ما أحاط به حصنهم شيئاً يؤدونه، ويكون للمسلمين ما كان خارجاً فقدم عمر فأجاز ذلك ثم رجع إلى المدينة.

خاتم الأنبياء ومسجدي هذا خاتم مساجد الأنبياء، وأحق المساجد أن يزار وتشر إليه الرحال المسجد الحرام، ومسجدي، وصلاة في مسجدي أفضل من الصلاة فيما سواه من مسجد إلا إلى المسجد الحرام " بل إن هناك أحاديث تمنى شد الرحال إلا للمسجد الحرام " عن عبد الله بن الهذيل قال: " لا تشد الرحال إلا إلى البيت العتيق ".

- وجود معارضة في صفوف علماء المسلمين في القرن الثاني للهجرة لحرمة بيت المقدس بل إن الرسول عليه السلام ينصح المسلمين بعدم زيارته، عن حذيف قال : "لو سرت حتى لا يكون بيني وبين بيت المقدس إلا فرسخاً أو فرسخين ما أتيتُه وما أحببت أن آتيه " وحديث آخر ورد عن أبي ذر قال: " لإن أصلي على رملة حمراء أحب إليّ من أن أصلي في بيت المقدس " ويستشهد بقول ابن تيمية "ليس ببيت المقدس مكان يسمى حرماً ولا بتربه الخليل ولا بغير ذلك" (١١).

٣- هربرت بوسه Heribert Busse :

يشكك في قدوم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ، وفتحها سلماً وإعطائها أهلها العهدة العمرية في روايات عديدة وأبرزها ما جاء في الطبري عن " خلا وعادة أن عمر صالح أهل إيلياء بالجابية وكتب لهم الصلح" (١٢).

٤- حسون Ishag Hasson :

يرى أن رفع شأن بيت المقدس جاء بعد نقل الأمويين مقر الخلافة من الحجاز إلى دمشق، وتحديدًا معاوية الذي رفع مكانة بيت المقدس ولما لم يؤيد نفر من رواة الأحاديث والقصاص عمل على ترويح الأحاديث التي تعلي مكانة بيت المقدس منها قوله " أنها أرض المحشر " وقوله وهو يخطب على منبر بيت المقدس " ... ما بين حائطي هذا المسجد أحب إلى الله تعالى من سائر الأرضين "، إضافة إلى قيام عبد الملك ابن مروان من تلقي البيعة في بيت المقدس وبناء قبة الصخرة سنة (٦٩ - ٧٢ هـ / ٦٨٨ - ٦٩٢ م) (١٣).

ويرى حسون كذلك أن إعطاء مكانه لبيت المقدس كان جزء من محاولة كل فقيه ينتمي إلى مدينة، العمل على رفع شأنها مثل القول بقُدسية مدينة واسط وعبدان وغيرها من المدن (١٤).

- إن زيارة الخليفة عمر بن الخطاب لبيت المقدس مؤكدة وكتابة العهدة العمرية لا مجال للطعن بها تؤكد المصادر الإسلامية وغيرها، ويبدو أن هناك بعض الاختلاف في الروايات ومرده إلى الصراع السياسي بين الفئات الإسلامية في تلك الفترة.

- إن كل الروايات الإسلامية تؤكد وجوب أن لا يسكنها اليهود، وكان هذا بناءً على طلب النصارى أنفسهم، ولا يضير أن يسكنها اليهود بالنسبة للمسلمين لأنهم يعتبرونهم أهل ذمة عليهم دفع الجزية ولا يعني وجودهم في القدس بأعداد قليلة أن لهم حق السيادة عليها أو أن لهم حقًا تاريخيًا في هذه المدينة المقدسة.

- يبدو التضارب واضحاً في آراء غوتين الذي يؤكد في الكتاب نفسه زيارة عمر بن الخطاب لبيت المقدس يصحبه عدد من الحكماء اليهود^(١٧)، ونحن نرى أن زيارة عمر بن الخطاب يعطيها مكانة متميزة بين بقية المدن.

- أن هناك رواية لا مجال للطعن فيها تعتبر من أقدم ما وصلنا من النصوص تؤكد وجود عهدة عمرية، وزيارة الخليفة عمر بن الخطاب للقدس، تناسها كل المؤرخين الصهاينة، أو لم يأخذوها في الحسبان عمداً وهي رواية خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وجاء فيها "قال ابن الكلبي: أبو عبيدة صالح أهل حلب، وكتب لهم كتاباً، ثم شخص أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فحاصر أهل إيلياء فسألوه الصلح على أن يكون عمر هو من يعطيهم ذلك ويكتب لهم أماناً، فكتب أبو عبيدة إلى عمر فقدم عمر فصالحهم فأقام أياماً ثم شخص إلى المدينة"^(١٨).

- إن اليعقوبي وابن البطريق أشارا إلى زيارة عمر بن بن الخطاب، وإلى العهد العمرية بصورة صريحة وإن كان مختصراً فهذا لا يعني أن هناك اختلافاً في النص أو غير ذلك ولكن كان هذا جزءاً من أسلوبهما في كتابة التاريخ القاص على الاختصار.

- إن عملية انتقاء الروايات كما حدث في رواية سيف في الطبري أمر لا يتفق والموضوعية التاريخية، فالطبري يروي في أحداث سنة ١٥ هـ عدة روايات تؤكد العهدة العمرية بأمر لا يجعل مجالاً للشك وتقطع كل محاولة للطعن في صحة العهدة العمرية.

والرواية كما وردت في الطبري:

عن خالد وعبادة، قالاً: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم فيه الصلح لكل كورة كتاباً واحداً، ما خلا أهل إيلياء.

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقمتهم وبريئتها وسائر ملتها؛ إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا مزحيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم؛ ومن أقام منهم فيه آمن؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة^(١٦).

الهوامش

- ٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب .
تاريخ اليعقوبي، ساهاس، دار صادر، ص ٦٩-٧٠، ١/ ٨٥، (بيروت، ١٩٧٤) .
- ٩- الطبري، محمد بن جرير .
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، السيوطي ١/ ٢٣٢-٢٣٢ .
٢٣٢، ساهاس ٧٠، دار التراث (بيروت، ١٩٨١) .
- ١٠- الحنبلي . ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .
- ١١- آراء قسطنطين وردت في مقدمة كتبه : أ. إسحاق حسون في تحقيقه لكتاب فضائل بيت المقدس لأبي بكر محمد بن أحمد الواسطي، ص ١٣-١٤، نشرته الجامعة العبرية (بالقدس، ١٩٧٩) .
- ١٢- حسون . ص ١٧ .
- ١٣- حسون . ص ١٩-٢٢ .
- ١٤- حسون . ص ٢٣ - ٢٤ .
- ١٥- البلاذري، أحمد بن يحيى .
فتوح البلدان، تحقيق : عبد الله انيس الطباع ورفيقه، ص ١٨٨-١٨٩، منشورات مؤسسة المعارف، (بيروت - لبنان، ١٩٧٨) .
- ١٦- الطبري . ج ٣، ص ٦٠٨ - ٦٠٩ .
- ١٧- ينظر :
- ١٨- خليفة بن خياط .
نص العهدة العمرية مترجماً عن اليونانية في ساهاس، ص ٧٤ - ٧٥ .
تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق : أكرم ضياء العمري، ط ٢، ص ١٣٤-١٣٥، دار طيبا (الرياض، ١٩٨٥) .

- ١- الإسراء . ص ١ .
- ٢- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ٤ ج، دار الجبل، بيروت، دت ٣٤ / ٢ .
٣٦؛ السيوطي، محمد بن شهاب، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى تحقيق أحمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م ١/ ٨٣ - ١٨٥؛ الحنبلي، مجير الدين، الأنس الخليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان أبو تيانة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ١٩٩٨م ١/ ٢٨١ - ٢٩٠؛ شكيل، هادية دجاني، بيت المقدس في الوجدان الإسلامي، في موسوعة الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، بيروت ١٩٩٤م ١٠ - ١١ .
- ٣- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تاريخ بيت المقدس، تحقيق محمد زينة محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د.ت، ٣٩-٤٣؛ المقدسي الحنبلي، ضياء الدين محمد، فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع حافظ، دار الفكر، دمشق ط ١، ١٩٨٨م، ٤٣؛ ابن المرجي، أبو المعالي، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، تحقيق عوفر ليقنه - كفري، دار المشرق، شفا عمرو ١٩٩٥م، ٨٢ - ٨٣؛ السيوطي ١/ ٩٨؛ الحنبلي ١/ ٣٥٤ .
- ٤- البقرة . ص ١٤٤ .
- ٥- Shlomo D. Gioitein, Jerusalem in the Arab period, 638 - 1099, The Jerusalem Cathedra, 2/1982 P/ 68 - 196.
نقلًا عن رانيال ساهاس، البطريرك صفرونيوس والخليفة عمر بن الخطاب وفتح القدس، في الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين ص ٥٩ .
- ٦- ساهاس . ص ٦٣ - ٦٤ .
- ٧- ساهاس . ص ٦٩ .

اسماعيل، المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ١٢٦٧/٦٦٥)، قد ولد في دمشق وبقي يُنسب بالمقدسي نسبةً إلى موطن أجداده^(١).

أما النزوح الكبير للمقداسة إلى دمشق فكان في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وبالأذات في سنة ٥٥١/١١٥٦. ففي هذا العام هاجر بنو قدامة المقداسة، والذين كان مركزهم قرية جماعيل بالقرب من نابلس، وذلك بسبب المعاملة القاسية للفرنجة وتخويفهم من القتل^(٢). وقد اختار بنو قدامة دمشق لتكون مقرّاً لهم ومأمناً من الأخطار لكونها تحت حكم آل زنكي، بالإضافة إلى عوامل الجذب لسياسة السلطان نور الدين محمود بن زنكي. فقد أظهر آل زنكي تحديهم للصليبيين ورفعوا شعار إحياء السّنة ومحاربة النّشيع^(٣).

بعض العلماء المقداسة كانوا يرحلون إلى بغداد وبلاد الشرق لأخذ العلم على شيوخها، حيث انتشرت المدارس النظامية في هذه الآونة منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وأصبحت بغداد مركزاً علمياً يجذب إليه الكثير من العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي. وعند عودة العلماء المقداسة من بغداد والشرق كانوا يستقروّن في دمشق في عصر آل زنكي والايوبيين، لارتفاع مركز العلم فيها مع ازدياد بناء المؤسسات التعليمية من جهة، ثم خوفاً من العودة إلى بيت المقدس لوقوعها تحت حكم الصليبيين قبل تحريرها على يد السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣/١١٨٧ من جهة أخرى. نرى مثلاً أنّ الشيخ عبد الغني ابن سرور المقدسي من بني قدامة قد سافر إلى بغداد سنة ٥٦٠/١١٦٤ للدراسة على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني وكان برفقته بعضٌ من أقاربه. وبعد أربع أعوامٍ من الدراسة في بغداد وبلاد الشرق عاد هؤلاء المقداسة واستقروا في دمشق، طلباً للأمن من الصليبيين، وكذلك طلباً للوظيفة والعمل. فقد بدأ الشيخ عبد الغني ابن سرور المقدسي يُدرّس علم الحديث في الجامع الأموي في دمشق، ويَعْظُ الناس به^(٤).

كان أكثرية علماء بيت المقدس من بني قدامة ومن القرى المجاورة لنابلس، بشكلٍ خاص، من أتباع المذهب الحنبلي، الذين تأثروا من الشيخ أبي الفرج الشيرازي، والذي هاجر من بلاد فارس إلى بيت المقدس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وقد نشر الشيخ أبو الفرج الشيرازي المذهب الحنبلي في منطقة بيت المقدس وترك أثره البالغ في ازدياد

العلماء المقداسة ودورهم الثقافي في دمشق في العصر الوسيط

أ. حاتم محام

يتطرق هذا البحث حول الدور الثقافي للعلماء المقداسة في دمشق في العصور الوسطى، وخاصة في العصرين الأيوبي والمملوكي. ويُقصد بالعلماء المقداسة، أولئك الذين هاجروا من بيت المقدس والمناطق المجاورة، والذين نُسبوا إلى بيت المقدس (المقدسي) لأهميتها ومكانتها في ذلك العصر. يتركز دور العلماء المقداسة في إقامة المؤسسات التعليمية والدينية، ثم دعم الفعاليات الثقافية والدينية بها.

هجرة العلماء المقداسة إلى دمشق :

كانت الدوافع لهجرة العلماء المقداسة إلى دمشق تتصف بعوامل الدفع وعوامل الجذب. أما عوامل الدفع فكانت أسبابها الرئيسية احتلال الفرنجة (الصليبيين) لبيت المقدس والمناطق المجاورة وإقامة مملكتهم بها سنة ٤٩٢/ ١٠٩٩. كانت معاملة الفرنجة للمسلمين قاسية، مما دفع الكثيرين إلى النزوح واللجوء إلى دمشق، لكونها خارج نطاق الاحتلال الفرنجي، طلباً للأمان. وعلى أثر أعمال القتل لجأ أبناء أبي شامة المقداسة إلى دمشق عند احتلال الفرنجة لها، حيث قُتل جدّهم أبو شامة وانتقل ابنه أبو بكر مع عائلته إلى دمشق. وقد كان جدّهم أبو شامة مقرّناً صوفيّاً في بيت المقدس وإماماً في مسجد الصخرة. وقد أقام أبو بكر بن أبي شامة مع أسرته في دمشق نواحي الباب الشرقي وكثّر نسلهم هناك، ومنهم من أصبح مدرّساً فيها. وكان المؤرخ الشهير شهاب الدين عبد الرحمن بن

أتباعه في القرى المجاورة، مثل جماعيل، مرداء، السيلة، ياسوف، الدبر وغيرهم وهكذا عُرفت عائلات حنبلية، ممن لعبت دورها في دمشق، من هذه القرى بالإضافة إلى نابلس والبلدات المحيطة ببيت المقدس. أهم هذه العائلات كانت: بنو قدامة السابق ذكرها، بنو مفلح، بنو غانم، وغيرها من العائلات. كان هؤلاء العلماء يُنسبون إلى بيت المقدس بالإضافة إلى انتسابهم إلى قراهم الأصلية أيضاً^(٥).

فلاحظ مثلاً أن شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعممة الحنبلي (ت ٦٦٨/١٢٦٩) كان يُدعى بالمقدسي أو النابلسي ثم الدمشقي فيما بعد. وكان قد وُلد بجبل نابلس سنة ٥٧٥/١١٧٩، ثم رحل إلى دمشق لسماع الحديث وأصبح هناك من كبار العلماء، الذي انتهى إليه علو الإسناد في وقته، وسمع منه كبار العلماء والمؤرخين في دمشق^(٦).

بعد هجرة بني الشيرازي وأتباعهم من الحنابلة من بني قدامة وغيرهم من منطقة بيت المقدس بتأثير الضغط الفرنجي، نلاحظ ضعف الحنابلة في منطقة بيت المقدس، وانتقال مركزهم إلى دمشق، وخاصةً الصالحية، التي عُمرت بفضل بني قدامة. سُمي موطنهم الجديد الصالحية نسبةً للشيخ الصالح، شيخ بني قدامة. وفي أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي لوحظ ضعف الحنابلة في بيت المقدس حسب وصف مُجير الدين العلمي الحنبلي بقوله أن وظيفة قضاء الحنابلة قد تركزت في بيت المقدس في أوقات مُتفاوتة واستقرّ فيها غيرُ مستحقّيها لعدم الحنابلة ببيت المقدس^(٧).

بعد فتح بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣/١١٨٧ أقام بها المؤسسات العلمية والدينية لخدمة المسلمين، وأخذت القدس تستعيد مكانتها الدينية والثقافية بعد جمود دام أكثر من قرنٍ كامل. ولكن بعد موت السلطان صلاح الدين أخذ وراثته في النزاعات الداخلية على الحكم، مما أدى إلى استعادة الصليبيين للقدس سنة ٦٢٦/١٢٢٨، واستمرّ حكمهم بها إلى أن فتحها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من جديد سنة ٦٤٣/١٢٤٥. ففي هذه الفترة من الحكم الفرنجي هاجر كبار العلماء من بيت المقدس إلى دمشق لتخوفهم من البقاء تحت حكم الفرنجة. أمثال هؤلاء العلماء تقي الدين ابن الصلاح (ت ٦٤٣/١٢٤٥) وشرف الدين محمد بن غرّوة الموصلي (ت ٦٢٠/١٢٢٣)

وغيرهم. وقد أصبح موضوع تحرير بيت المقدس من الفرنجة في هذه الآونة موضوع وعظ العلماء في جامع دمشق. حيث عين الملك الناصر داود الأيوبي الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزي في وظيفة الوعظ في الجامع الأموي الكبير ليُعظ الناس في أهمية القدس في الإسلام^(٨).

ازداد عدد المقادسة الذين استقروا في دمشق وكثُر نسلهم فيها وحافظوا على انتسابهم إلى بيت المقدس، على الرغم من ولادة الكثيرين منهم في دمشق. وكان العامل الثاني الذي أدى إلى هجرة بعض العلماء المقادسة هو عامل الجذب الذي أخذت دمشق تمتاز به، ليس من داخل بلاد الشام فحسب، بل من جميع أنحاء العالم الإسلامي. فمنذ العصر الزنكي وحتى أواخر العصر المملوكي تضاعفت المؤسسات الثقافية والدينية في دمشق على اختلاف أنواعها من مساجد، مدارس، خوانق، ربط، زوايا، دور الحديث ودور القرآن. هذه المؤسسات فتحت المجال أمام العلماء وطلبة العلم للرحيل إلى دمشق للأخذ عن علمائها، أو بحثاً عن الوظائف والمناصب في المجالات الدينية والثقافية وكذلك في المناصب الإدارية. بعد بناء الصالحية على يد المقادسة وإقامة المؤسسات الدينية والثقافية بها، وخاصةً لخدمة أتباع المذهب الحنبلي، أخذت تجذب إليها الكثير من العلماء والطلبة، ليس من بيت المقدس فقط، بل من مناطق مختلفة من المشرق الإسلامي. وفي الوقت الذي كانت بغداد تفقد مكانتها العلمية الرائدة، وخاصةً بعد الغزو المغولي لها سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨، كانت دمشق والقاهرة تحتلّ هذه المكانة في العصر المملوكي.

إسهام المقادسة في بناء المؤسسات العلمية والدينية في دمشق :

كان إسهام المقادسة في إقامة المؤسسات التعليمية في دمشق مبكراً. حيث أسهم الشيخ الفقيه الزاهد نصر المقدسي في اتخاذ الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الأموي مقراً له وأخذ يدرس بها العلوم الدينية. كان الشيخ نصر المقدسي قد هاجر إلى دمشق في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بسبب الاحتلال الفرنجي لبيت المقدس. أصبحت زاوية الشيخ نصر المقدسي نفسها في دمشق مقراً للشيخ أبي حامد الغزالي عندما قَدِمَ دمشق، والذي قضى وقتاً في القدس أيضاً في زاوية الشيخ نصر المقدسي في المسجد الأقصى. أصبحت الزاوية

النصرية (الغزالية) في دمشق تُعرف بعدة أسماء نسبةً للشيخ نصر (الزاوية) كما عُرفت زاويته في الجامع الأقصى في القدس، ثم عُرفت بالزاوية النصرية) فيما بعد تطوّرت هذه الزاوية في دمشق وعُرفت بالمدرسة الغزالية. وأصبحت من المدارس الشافعية الهامة هناك. لعبت هذه المدرسة دوراً هاماً في دمشق^(١٣). وقد بُنيت المدرسة العمرية على مراحل مختلفة طوال الفترة الأيوبية الثقافية الدينية ودرس بها كبار العلماء، أمثال الصائغ ابن عسّاك والمملوكية، كما أوقف لها كثير من ذوي اليسار أوقافاً وأموالاً لصالح المدرسة (ت ٥٦٣/١١٦٧)، قطب الدين النيسابوري، وأبو النصر محمد الطوسي، ابن الوزير المشهور نظام الملك منشئ المدرسة النظامية في بغداد، والشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت ١٢٦٢-١٢٦١/٦٦٠) وغيرهم^(٩).

عندما هاجر بنو قدامة إلى دمشق في منتصف القرن السادس/ الثاني عشر الميلادي، أقاموا مقرهم في جبل قاسيون خارج أسوار مدينة دمشق. ومع تطوّر هذا المكان إلى مدينة عُرفت بهم "الصالحية"، مع بناء المساكن لخدمة بني قدامة، بدعوا أيضاً ببناء مؤسسات دينية وتعليمية لخدمتهم ولخدمة أتباع المذهب الحنبلي. فكانت أول مؤسساتهم الدير الذي بنوه هناك، والذي عُرف بهم بعدة أسماء: دير الحنابلة، دير الصالحين ودير المقادسة^(١٠).

منذ استقرار بني قدامة في دمشق تبوأوا المناصب العالية والهامة، وخاصة تلك التي تخدم مصالح المذهب الحنبلي، لكون أكثريتهم من الحنابلة. كانت أهم هذه المناصب في مجالات التعليم الديني، الوعظ، القضاء وإدارة أوقاف الحنابلة والمؤسسات التابعة لهم. لكن الأسهام المهم لبني قدامة كان في بناء المؤسسات التعليمية والدينية. فالشيخ أبو عمر ابن قدامة المقدسي (ت ٦٠٧/١٢١٠)، والذي عُرف بشيخ المقادسة^(١١)، كان قد أنشأ مدرسة في الصالحية من أكبر وأهم المدارس التي أنشئت في دمشق وفي بلاد الشام عامة في العصرين الأيوبي والمملوكي. أصبحت هذه المدرسة مقراً لعلماء بني قدامة المقادسة في التدريس وفي إدارة أوقافها في تلك الفترة من العصر الوسيط، وعُرفت بالمدرسة "العمرية الشيخية" نسبةً لمنشئها^(١٢).

إن المكانة العالية للمدرسة العمرية في هذا العصر لم تتمثل فقط في كبرها وعدد غرفها، أو في عدد المواضيع الدينية التي أسهمت في تدريسها من قبل كبار العلماء، مثل علوم القرآن، الحديث والفقه، بل تَمَثَّلَتْ أيضاً بسعة ووفرة أوقافها،

التي لا يُمكن حصرها، كما وصفها المؤرخ النعيمي في كتابه "الدارس في تاريخ المدارس". فقد انتشرت أوقافها من الأراضي الزراعية في البقاع اللبنانية والذي بلغ عشر مساحة الأراضي والضّياع بها، بالإضافة إلى الأوقاف التي خُصّصت لها وقد بُنيت المدرسة العمرية على مراحل مختلفة طوال الفترة الأيوبية والمملوكية، كما أوقف لها كثير من ذوي اليسار أوقافاً وأموالاً لصالح المدرسة وبسبب كثرة الواقفين لها فقد تعددت الحجج الوقفية لها، حتى قيل أنه كلن في كل عام يوقف لها وقف جديد، فصار لها من كل أنواع البر والخير^(١٤).

لقد بنى الشيخ المقدسي قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المرداوي الحنبلي سنة ٧٦٩/١٣٦٧ مدرسة بالقرب من مدرسة أبي عمر عُرفت باسمه "المرداوية". وعلى الرغم من معارضة بني قدامة المقادسة فقد بُنيت المرداوية لصيقها وأصبحتا فيما بعد مدرسة واحدة. عظم حجم المدرسة العمرية بعد توسيعها والزيادة عليها حتى بلغ عدد غرفها ٣٦٠ حجرة موزعة على ثلاث طبقات^(١٥).

إن الأسهام الثقافي للمدرسة العمرية لم يقتصر على علوم الفقه للمذهب الحنبلي فقط، ولكن في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد أُدخل على نظام المدرسة تدريس الفقه لبقية المذاهب، الشافعية، الحنفية والمالكية^(١٦)، بالإضافة إلى العلوم الدينية الأخرى. كذلك أسهم الشيخ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت ٦٤٣/١٢٤٥) في بناء مدرسة بسفح جبل قاسيون بالصالحية سنة ٦٢٠/١٢٢٣، وعُرفت باسمه "المدرسة الضيائية". كان ضياء الدين المقدسي أحد الأعلام الحفاظ، الذي انتفع الناس بتصانيفه والمحدثون بكتبه. وقد كتب ضياء الدين كتباً كثيرة بخط يده وأوقفها بمدرسته، التي أغنت مكتبة المدرسة واشتهرت فيما بعد وأصبحت مورداً لعلماء الحديث والفقه^(١٧).

وإذا أرفقنا بني الشيرازي إلى العلماء المقادسة نلاحظ مدى مساهمة هؤلاء أيضاً في الحركة العلمية والدينية في دمشق. لقد لعب أبو الفرج الشيرازي دوراً هاماً في نشر المذهب الحنبلي في مناطق بيت المقدس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وبعد هجرة بني الشيرازي إلى

دمشق من بيت المقدس، على أثر سيطرة الفرنج على هذه المنطقة، استمروا في نشر المذهب الحنبلي في دمشق أيضاً، وفي بناء المؤسسات التعليمية لهم. فقد أقام عبد الوهاب بن أبي الفرج الشيرازي (ت ١١٤١/٥٣٦) المدرسة الحنبلية في دمشق، وذلك قبل سيطرة آل زنكي عليها وقبل هجرة بني قدامة إليها أيضاً^(١٨) وفيما بعد، وفي العصر الأيوبي، بُنيت المدرسة صاحبة من أجل ناصح الدين عبد الرحمن الشيرازي (ت ١٢٣٦/٦٣٤)، والذي بدأ التدريس بها سنة ١٢٣٠/١٢٢٨ وهكذا ذهب أبناء الشيرازي في أعقاب والدهم أبي الفرج ولعبوا دوراً بارزاً في التدريس والوعظ ودعم المذهب الحنبلي في دمشق^(١٩). ثم أوقفت الشيخة العالمية أمة اللطف ابنة الشيخ ناصح الدين الشيرازي مدرسة سنة ١٢٣٢/٦٣٠ لخدمة الشيرازي الحنابلة، والتي عُرفت باسمها "المدرسة العالمية"^(٢٠).

وقد عمّر شرف الدين محمد بن عروة الموصلي (ت ١٢٣٢/٦٢٠) دار الحديث، التي عُرفت بأسمه "العروية"، وذلك بعد أن هاجر من بيت المقدس إلى دمشق على أثر هدم أسوار القدس على يد السلطان الملك المعظم عيسى خوفاً من احتلال الصليبيين لها بعد اتفاقهم مع السلطان الملك الكامل في مصر. وكان ابن عروة مقيماً بالقدس ومقرباً للملك المعظم عيسى بن الملك العادل، وعند هجرته إلى دمشق عمّر مشهد علي سنة ١٢١٩/٦١٦ الموجود في صحن الجامع الأموي وجعله داراً للحديث، وأوقف خزائن كتبه فيها، كما أوقف دروساً للحديث. ودرس بها كبار علماء الحديث، مثل فخر الدين ابن عساكر (ت ١٢٢٣/٦٢٠) وزكي الدين البرزالي (ت ١٢٣٨/٦٣٨)، وفخر الدين البعلبكي (ت ١٢٨٩/٦٨٨)^(٢١).

بفضل العلماء المقادسة الحنابلة تقرر أن يُنصب لهم محراب منفرد في الجامع الأموي سنة ١٢٢٠/٦١٧، داخل الرواق الثالث الغربي من الجامع. وقد كان هذا المكان سابقاً مكان تجمّع لأتباع الحنابلة لعقد حلقات لهم فيها بسبب منعهم من عقد حلقات داخل الجامع. وبعد أن هاجر بنو قدامة المقادسة إلى دمشق سنة ٥٥١/١١٥٦، أخذوا بالتركيز في عقد الحلقات والصلوات في مكان خاص لهم، وخاصةً عندما أخذ الشيخ عبد الغني بن سرور المقدسي بعقد حلقاته ووعظه في هذا المكان. وقد ازداد عدد الحاضرين لسماع وعظه في هذه الحلقة. وعلى أثر ذلك تقرر أن يُنصب لهم محراب في الجامع الأموي سنة ١٢٢٠/٦١٧، كما كان الحال لبقية أتباع المذاهب الأخرى^(٢٢).

لقد تحول محراب الحنابلة وحلقتهم في الجامع الأموي إلى مؤسسة تعليمية دائمة، تُعقد بها حلقات العلم أيام الثلاثاء، مما منحها اسم "حلقة الثلاثاء". وقد درس بهذه الحلقة كبار العلماء المقادسة، مثل الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن المقدسي (ت ١٢٩٩/٦٩٩)، والشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن المقدسي (ت ١٤٦٩/٧٧١). كذلك درس بها كبار علماء الحنابلة الآخرين، مثل زين الدين ابن رجب (ت ١٣٩٢/٧٩٥)^(٢٣).

بالإضافة إلى ذلك أسهم الشيخ الصالح محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسي، المعروف بأبي عمر، باني المدرسة العمرية، في بناء الجامع المظفري في جبل قاسيون في الصالحية، حيث شرع في بنائه سنة ٥٩٨/١٢٠١ ولم يُتمّه بسبب نفاذ المال اللازم. لكن البناء تمّ فيما بعد بتمويل من الملك المظفر كوكبري ملك إربل، وعُرف باسمه الجامع المظفري. لقد تولّى الشيخ أبو عمر الخطابة في هذا الجامع بعد إتمامه. عُرف هذا الجامع بعدة أسماء فيما بعد، مثل جامع الجبل أو جامع الحنابلة^(٢٤). وقد قام الملك الأشرف مظفر الدين موسى، ابن الملك العادل الأيوبي، (ت ١٢٣٧/٦٣٥) داراً لتدريس الحديث في سفح قاسيون سنة ١٢٣٢/٦٣٠ عُرفت بدار الحديث الأشرفية البرّانية للتمييز بينها وبين دار الحديث التي بناها داخل دمشق. وقد بنى دار الحديث البرّانية في الصالحية للحافظ ابن الحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي (ت ١٢٣١/٦٢٩)، الذي مات قبل الانتهاء من بنائها. وقد استمرّ العلماء المقادسة في التدريس في هذه المؤسسة طوال العصرين الأيوبي والمملوكي^(٢٥).

٥٠

من خلال إنشاء هذه المؤسسات الدينية والثقافية في دمشق نلاحظ مدى إسهام العلماء المقادسة في هذا المجال. وبما أن أكثرية العلماء المقادسة في دمشق كانوا من أتباع المذهب الحنبلي نرى أنهم قد أسهموا في ترسيخ هذا المذهب، ليس فقط في بناء المؤسسات لخدمته بل في ازدياد أتباع الحنابلة أيضاً. فان انتشار المدارس ودور الحديث والحلقات في الصالحية ودمشق لخدمة المقادسة، بإسهم منهم أو بمساعدة بعض أفراد الطبقة الحاكمة قد قوى مركز العلماء المقادسة هناك. فقد أسهم هؤلاء العلماء في نشر علم الحديث في دمشق وتنسيق علومه وتصنيف أبحاثه المتعددة^(٢٦). وليس غريباً أن نرى شمس الدين ابن طولون يذكر أن المحدثين من الصالحية لا يُحصون كثرة، فإنها لم تزل منذ عُمِرت معدن الحديث، واليهما يُنسب المحدثون، وخصوصاً المُسندون^(٢٧).

وهكذا أصبحت مؤسسات الحنابلة في دمشق، والتي أقامها وأسهم بها العلماء المقادسة الأوائل، عامل جذبٍ لكثيرٍ من العلماء من بيت المقدس فيما بعد، وخاصة بعد استقرار الأمور السياسية وارتفاع مركز دمشق العلمي في العصورين الأيوبي والمملوكي، وخاصة في القرنين السابع والثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر للميلاد. وأصبحت الصالحية مأوى للعلماء المقادسة المهاجرين إليها بحيث تتوفر لهم مصادر رزقهم في إيجاد الوظائف في التدريس والوعظ أو الوظائف الدينية في الجوامع وغيرها من المؤسسات. لذلك، برز الكثير من العلماء المقادسة في العصور الوسطى من عائلات مختلفة، مثل: بنو مفلح المرادوة، بنو غانم وغيرهم ممن نسب إلى نابلس والقرى المجاورة، مثل قرى جماعيل، مردا، ياسوف، قيرة وجيت وغيرها^(٢٨).

لقد تولى هؤلاء العلماء المقادسة المناصب في التدريس والقضاء والخطابة والوعظ في المؤسسات التي أقاموها في دمشق وغيرها من المؤسسات، وخاصة التابعة للمذهب الحنبلي. فعندما أنشأ الملك الأشرف مظفر الدين موسى، ابن السلطان العادل الأيوبي، دار الحديث الأشرفية داخل دمشق أصبحت من أهم المؤسسات لتدريس الحديث في بلاد الشام. درس بها كثيرٌ من علماء الحديث، ومن بينهم علماء من بيت المقدس. كان أول من درس بها الشيخ تقي الدين عثمان

بن الصلاح الشهرزوري سنة ١٢٣٢/٦٣٠، وذلك بعد أن هاجر من بيت المقدس لسيطرة الفرنجة عليها من يد الأيوبيين، بحيث شغل هناك مدرساً في المدرسة الصلاحية^(٢٩). ثم درس بها أيضاً أحد العلماء المقادسة وهو المؤرخ المشهور شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الشافعي، المعروف بأبي شامة (ت ١٢٦٦/٦٦٥)^(٣٠). وعندما أُنشئت المدرسة الجوزية سنة ١٢٢٦/٦٢٣ في دمشق لأتباع الحنابلة على يد الشيخ محيي الدين بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ١٢٥٨/٦٥٦)، شغل المقادسة نصيباً وافرأ في تدريسها. من هؤلاء العلماء الذين درسوا في المدرسة الجوزية: شرف الدين حسن بن عبد الله المقدسي (ت ١٢٦١/٦٥٩)، بدر الدين حسن بن محمد بن سليمان بن حمزة المقدسي (ت ١٢٧١/٦٧٠)، نجم الدين أحمد ابن قدامة (ت ١٢٩٠/٦٨٩). تقي الدين سليمان بن حمزة ابن قدامة المقدسي (ت ١٣١٥/٧١٥) وابنه عز الدين محمد (ت ١٣٣٠/٧٣١)، جمال الدين يوسف ابن مفلح المرداوي (ت ١٣٦٧/٧٦٩)، الذي تولى أيضاً قضاء الحنابلة بالشام مدة سبع عشرة سنة ما بين سنة ١٣٦٥-١٣٤٩/٧٦٧-٧٥٠^(٣١). كذلك درس بالجوزية شمس الدين النابلسي (ت ١٤٠٢/٨٠٥)، والذي تسلم منصب قاضي قضاة الحنابلة في الشام سنة ٧٩٦/١٣٩٣. ثم درس فيها أيضاً الشيخ برهان الدين ابراهيم بن محمد بن مفلح الراميني المقدسي (ت ١٤٠٠/٨٠٣) وغيرهم^(٣٢).

المكانة العالية في المجالات الدينية والعلمية للعلماء المقادسة جعلت المؤرخين يُطنبون في وصف تراجمهم وأوصافهم. وبالإضافة إلى مناصب التدريس والقضاء وغيرها من المناصب الدينية، فقد لعب المقادسة دوراً هاماً في إحياء السنة في الشام، خاصة في العصر الأيوبي. فمثلاً، عماد الدين ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت ٦١٤ / ١٢١٧) كان قد تفقّه بالموصل وبغداد وعاد إلى دمشق، وبرع وناظر وأفتى وأقبل على أشغال الناس ونفعهم، وقد كان عالماً بالقرآن والنحو والفرائض وغيرها من العلوم، حتى صار من تلاميذه جماعة من العرب والأكراد والعجم، من مختلف المذاهب. وقد ترك أثره على تلاميذه، حيث رجع كثيرٌ منهم عن مذاهبهم وأتبعوا مذهب الشيخ الحنبلي. فكان له الأثر البالغ والقوي في محاربة التشيع وإحياء السنة في بلاد الشام^(٣٣).

كذلك الشيخ فخر الدين علي بن أحمد السعدي المقدسي (ت ٦٩٠)، كان قد تفقه ببخارى وسمي بالبخاري، وعندما جاء إلى دمشق أظهر علمه بها وصار يُدعى رحلة الشام، وانجفل الناس إليه من الأقطار طلباً للعلم الأسناد في الحديث^(٣٤). كذلك كان صلاح الدين محمد بن أحمد النابلسي (المقدسي) (ت ٧٨٠ / ١٣٧٨) قد بلغ شوطاً بعيداً في العلم حتى عُرف بمُسند وقته ورحلته عصره، وسمع من الأئمة والحفاظ^(٣٥). أما الشيخ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد الجماعلي (ت ٦٠٠ / ١٢٠٣)، كان عالماً بالحديث حيث تعلمه بعدة بلدان مثل بلاد العراق وفارس ومصر، واستقر أخيراً في دمشق، وكان يُقال عنه أنه أمير المؤمنين في الحديث^(٣٦).

شهرة العلماء المقادسة ومكانتهم العلمية والدينية في دمشق جعلت السلاطين الأيوبيين والمماليك يدعونهم إلى مصر لتولي المناصب في مجالات التدريس والقضاء، وخاصةً لخدمة المذهب الحنبلي. بما أن أتباع المذهب الحنبلي في مصر كانوا محدودين هناك وضعيفي التأثير، جعل السلاطين والحكام يحتلجون إلى العلماء المقادسة الحنابلة في دمشق بعد سياسة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، الذي أدخل إصلاحات قضائية في الدولة بتعيين أربعة قضاة من المذاهب الأربعة في كل من مصر والشام. ففي العصر المملوكي أخذ الحكام يقيمون المدارس الشاملة، التي تحتوي على أربعة أواوين، بحيث يُخصَّص كل إيوان لخدمة طلاب من أحد المذاهب الأربعة. وكان المذهب السائد في مصر آنذاك هو المذهب الشافعي، مع وجود محدود لأتباع المالكية في منطقة الإسكندرية والساحل بمساعدة المهاجرين المغاربة والأندلسيين^(٣٧). لذا أخذ الحكام المماليك في هذا العصر يدعون علماء من الحنابلة والحنفية من بلاد الشام لتولي مناصب القضاء لمذاهبهم، وكذلك وظائف التدريس في المدارس المشتركة بين المذاهب المختلفة. فعندما افتُتحت مدرسة السلطان حسن للتدريس في القاهرة، دُعي الشيخ الحنبلي شرف الدين أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٧٧١ / ١٣٦٩) من دمشق سنة ٧٦١ / ١٣٦٠، لتعيينه مدرساً للفقهِ الحنبلي في المدرسة. لمكانته العلمية والدينية العالية ولأهله السلطان حسن منصب المشيخة في خانقاه "سعيد السعداء" في القاهرة.

والدليل على مكانته العالية، فإن أصحابه من القضاة والأعيان في دمشق قد ودَّعوه وانفردوا منه بحفل يليق بمقامه عند مغادرته دمشق إلى القاهرة^(٣٨).

ومن جهة أخرى، كان الفضل للعلماء المقادسة في نشر المذهب الحنبلي وتدرسه في مصر وازدياد أتباعه هناك في العصر المملوكي، كما كان الحال في دمشق من قبل. على الرغم من ذلك فقد بقي المذهب الحنبلي ضعيفاً نسبياً في مصر بسبب دعم الحكام المماليك للمذاهب الأخرى، وبشكل خاص المذهب الحنفي. وعندما عين الشيخ موفق الدين عبد الله الحجاوي المقدسي (ت ١٣٦٧ / ٧٦٩) في منصب القضاء الحنبلي في مصر سنة ٧٣٨ / ١٣٣٧، استمر به حتى وفاته. ويذكر ابن حجر العسقلاني أنه في زمن الشيخ موفق الدين الحجاوي انتشر مذهب الحنابلة بالديار المصرية^(٣٩). وبما أن العلماء المقادسة في دمشق كانوا غالباً من أتباع المذهب الحنبلي، فقد كان لهم الحظ الأوفر في اختيارهم من قبل السلاطين والحكام في مصر لتولي المناصب الدينية والتدريسية لخدمة الحنابلة هناك. وكانت هذه الوظائف في مصر عامل جذب لهجرة بعض المقادسة من دمشق إلى مصر. فنلاحظ مثلاً هجرة الشيخ علي بن سليمان المرادوي (ت ١٤٨٠ / ٨٨٥) من دمشق إلى القاهرة كانت لهدفين: الأول ولاية قضاء الحنابلة بمصر، والثاني ليقوم بدوره في دعم المذهب الحنبلي وإدارة شؤونه هناك^(٤٠).

المنافسة على المناصب الدينية والثقافية :

إن المكانة العالية التي وصل إليها المقادسة في دمشق في المجالين الديني والثقافي، لا شك أنها أثارت دوافع الحسد والغيرة بين العلماء الدماشقة لمنافستهم على المناصب، والدخل من الأوقاف. وإذا نتبنا حياة العلماء المقادسة وعلاقتهم مع العلماء الآخرين في دمشق نلاحظ ظواهر كثيرة من المنافسات. عندما دخل أبو حامد الغزالي إلى دمشق بعد هجرته من بيت المقدس، قصد الخانقاه السميصرية بالمدينة فمنعه الصوفية في الخانقاه من الدخول إليها. الأمر الذي دعاه إلى اتخاذ الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الأموي، والتي عُرفت باسمه فيما بعد، "الزاوية الغزالية/ المدرسة الغزالية"^(٤١).

ازدياد المناصب وتطورها مع تطور الحركة التعليمية في دمشق منذ عصر نور الدين زنكي وما بعدها، خلقت كثيراً من ظواهر المنافسة على المناصب خاصة وظائف التدريس، إدارة الأوقاف، والوظائف الدينية مثل القضاء^(٤٢). بواب المنافسة بين الدماشقة والمقادسة ظهرت عند هجرة بني قدامة المقداسة إلى دمشق في النصف الثاني من القرن السادس/ الثاني عشر. فعند استقرارهم في جبل قاسيون وبناء الصالحية ظهر الحسد من بني الحنبلي الدماشقة تجاه بني قدامة خوف من تسلّم المناصب الدينية والتعليمية وإدارة أوقاف الحنابلة في دمشق. عندما بدأ علماء المقادسة يُدرّسون القرآن (السبع) بجامع أبي صالح بجبل قاسيون، خاف بني الحنبلي على مناصبهم ودخلهم من الأوقاف^(٤٣). أخذ بنو الحنبلي يُضايقون بني قدامة ويؤذونهم ليخرجوا من مسجد أبي صالح، وذلك تخوّفهم على أوقاف الجامع أن تخرج من أيديهم. أخذ بنو الحنبلي أيضاً يُروّجون الأشاعات على بني قدامة بأنهم صاروا على مذهب الأشعرية. على الرغم من نزع أوقاف مسجد أبي صالح من بني الحنبلي وإعطائه لبني قدامة المقداسة من قِبَل السلطان نور الدين محمود ابن زنكي، نلاحظ مدى قناعة وعفة علماء المقادسة عندما لم يرض الشيخ أحمد بن قدامة تسلّم إدارة المسجد وأوقافه، وأعادها إلى بني الحنبلي. حيث قال الشيخ أحمد في هذا : "إنني لم أهاجر من بلادني لأنفاس الناس على دنياهم، وأنا لا يُمكنني أن أقيم في هذا المسجد أبداً"^(٤٤).

تحوّل الصالحية كمركز لعلماء المقادسة وشهرتهم بعلم الحديث والقرآن وغيرها من علوم الدين، جعلت علماء الدماشقة يخافون على مناصبهم، وبعضهم شعر بالتقبص بمكانتهم، مثل القاضي ابن الزكي والدولي. عندما قدم الشيخ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد الجماعلي المقدسي (ت ٦٠٠/١٢٠٣) إلى دمشق، أخذ يَعْظُ الناس في الجامع الأموي تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة، ثم بعد صلاة العصر. وقد اجتمع حوله الناس في حلقات الوعظ، وصار الناس يتزاحمون على حضور حلقاته، فحسده بنو الزكي والدولي وكبار الدماشقة من الشافعية وبعض الحنابلة. أخذ العلماء الدماشقة يُشوّشون عليه في حلقاته حتى بذل موعده لحلقاته إلى بعد العصر. ولكن الغيرة والحسد جعلت كبار الشافعية والحنفية والمالكية يجتمعون عند الملك المعظم عيسى ووالي القلعة واحتجّوا ضد الشيخ عبد الغني المقدسي

واتهموه بالكفر وأنه مبتدع ولا يجوز له أن يُترك بين المسلمين. مع العلم أن ابن كثير يصفه بأنه كان أَوْحَدَ زمانه في علم الحديث والحفظ. ويذكر ابن طولون أن ضياء الدين المقدسي وصفه بأنه كان يُقال له "هو أمير المؤمنين في الحديث". على الرغم من هذه الميّزات العلمية والدينية، منعه علماء الدماشقة من الجلوس في الجامع وكسروا المنبر الذي كان يتخذهُ الشيخ عبد الغني للوعظ. لذا بعد شعوره بالضيق رحل إلى بعلبك ثم إلى مصر وصار يقرأ الحديث هناك^(٤٥).

إذا تتبّعنا مجرى حياة العالم والمؤرخ المقدسيّ الأصل، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥/١٢٦٧)، نلاحظ مدى معاناته من أصحاب السلطة وذوي الشأن في دمشق. فقد اشتغل أبو شامة بالتدريس في التربة الأشرافية (دار الحديث الأشرافية الجوانية). وكذلك في المدرسة الركنية، وعلت مكانته العلمية والأدبية. وعلى الرغم لما وصل إليه أبو شامة من العلم والثقافة وسعة الأطلاع، فإنه كان هدفاً للحسد والدسّ عليه من قبل معاصريه من العلماء. ويظهر من ترجمة أبي شامة أنه كان مُتَعَفِّفاً عن الإشتغال بالأعمال المُقَرَّبَةِ إلى السلطة والحكام. وعندما رأى كثرة الحساد والمنافسين له على المناصب ترك التدريس وفضّل العمل في قطعة أرض له كي لا يُزاحم الآخرين على أموال الأوقاف التابعة للمدارس^(٤٦). ودليل على الحسد والضغينة ضد أبي شامة أنه قد مات اغتيالاً^(٤٧).

كذلك كانت المدرسة العمرية في الصالحية هدفاً للتحاسد طوال العصر المملوكي. فإن سِعة أوقاف المدرسة ومكانتها جعلتها تقف أمام المحن التي أصابت مدارس دمشق وبلاد الشام عامة في العصر المملوكي الثاني. فبعد موت السلطان محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ / ١٣٤٠) بدأت تظهر كثير من ظواهر الفساد في الدولة، مثل الرشوة / البرطيل / البذل والسعي وغيرها، ممّا زاد التنافس على المناصب الدينية والثقافية، ومحاولة التقرب إلى السلطة عن طريق بذل الأموال وشراء المناصب بطرق مختلفة. وبعد الهجوم المغولي على بلاد الشام سنة ٨٠٣ / ١٤٠٠ ازدادت الأوضاع سوءاً في بلاد الشام، خاصة في المؤسسات الثقافية، مثل المدارس، التي هُدم وأُخرب قسم كبير منها وأُهملت أوقافها، أو سيطر عليها نظّارها وغيرهم من أصحاب المناصب. قليل من المؤسسات التي استطاعت أن

تستعيد فعاليتها التعليمية خلال القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد وحتى نهاية العصر المملوكي. لكن المدرسة العمرية التابعة لبني قدامة المقداسة حافظت كما يبدو، على مكانتها الثقافية وصيانة أوقافها إلى حد ما، بالرغم من الأضرار التي أصابت بعضاً من أوقاف الحنابلة، بسبب تلاعب بعض المسؤولين منهم ببيع أجزاء من الأوقاف لخدمة أهدافهم^(٤٨).

استمر بنو قدامة المقداسة من الاستفادة من المناصب في العمرية ومكانتها العالية. هذا أثار الحسد عند أصحاب المناصب العليا في دمشق من القضاة والمدرسين من المذاهب الأخرى. ففي النصف الثاني من القرن الثامن/ الرابع عشر، وفي أيام القاضي شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي (ت ٧٧١ / ١٣٦٩) من بني قدامة المقداسة، أراد غير الحنابلة من أعيان الشافعية الدخول إلى المدرسة العمرية، والأشترأ في تدريسها والنيل من أوقافها. فتصدى لهم القاضي شرف الدين ابن قاضي الجبل المقدسي وقال لهم: والله لا تنزلون بها أحداً إلا أنزلنا في المدرسة الشامية الكبيرة نظيره. أي أن وقف العمرية كان مخصصاً فقط لخدمة الحنابلة. قصد ابن قاضي الجبل أن يرد عليهم بالمثل، أي أن يُشارك الحنابلة بأوقاف المدرسة الشامية الكبرى الموقوفة على الشافعية. وبقيت هذه الفكرة تُراو القضاة الشافعية حتى نجحوا بذلك في سنة ٨٤٧ / ١٤٤٣ عندما قرّر الشيخ عبد الرحمن بن داود الشافعي ادخال بقية المذاهب إلى المدرسة العمرية، وذلك على أثر خلاف بينه وبين الحنابلة. وهكذا أصبحت المدرسة العمرية تضم في تدريسها ليس فقط من أتباع الحنابلة بل من بقية المذاهب، الشافعية، الحنفية والمالكية أيضاً^(٤٩).

إن ادخال أتباع بقية المذاهب إلى المدرسة العمرية ومشاركتهم في أوقافها ومناصبها قد شقَّ على المقداسة، وخاصة من بني قدامة أصحاب الوقف. لذا حلول المقداسة ارسال الشيخ شهاب الدين بن عبد الرزاق إلى مصر لأستصدار مرسوم من السلطان المملوكي في القاهرة يقضي بإخراج غير الحنابلة من المدرسة. لكن المنية وافت الشيخ شهاب الدين ولم يتم مسعاه، وبقيت المدرسة تخدم جميع أتباع المذاهب^(٥٠).

يُمكن تلخيص ما سبق أن العلماء المقداسة قد لعبوا دوراً بارزاً في تطوّر الحركة العلمية في دمشق تمثلت في إنشاء المؤسسات الدينية منها والعلمية. وبالرغم من كون العلماء المقداسة غرباء في دمشق وانتماء أغليبتهم إلى المذهب الحنبلي، نجحوا في الصمود أمام التحديات التي واجهتهم من سياسة الحكّام من جهة، ومن منافسة الدماشقة وحسدهم لهم على المناصب من جهة أخرى. وهكذا برز المقداسة في دمشق في أنواع العلوم الدينية المختلفة، وخاصة في علوم الحديث، وصاروا رحلة لطلبة العلم من أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

٧- مجير الدين الحنبلي العلمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (٢)، ص ٣٢، (القدس، ١٩٨٨).

٨- حمزه بن أحمد ابن سباط، تاريخ ابن سباط، (١)، ص ٢٩٦، (طرابلس، ١٩٩٣).

٩- انظر عن المدرسة الغزالية (الزاوية) ومدرسيها: النعيمي، (١)، ص ٤٢٦-٤١٣.

١٠- ابن طولون، (١)، ص ٢٥٣.

١١- النعيمي، (٢)، ص ١٠٣.

١٢- انظر عن المدرسة العُمريّة في دمشق: النعيمي، (٢)، ص ١٠٠. ابن طولون،

(١)، ص ٢٧٣-٢٤٨. محمد أحمد دهمان، ص ٤٤-٥٥. محمد كرد علي،

خطط الشام، (٦)، (دمشق، ١٩٢٨)، ص ٩٩-١٠٠. محمد أديب تقي الدين

الحصني، منتخبات التاريخ لدمشق، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٩٦٠. أنظر

القصيدة الشعرية في مدح شيخ المقادسة أبي عمر ابن قدامة والمدرسة

العُمريّة في الصالحية: ابن طولون، (٢)، ص ٥٢٨-٥١٤.

١٣- انظر عن أوقاف المدرسة العُمريّة في دمشق وبلاد الشام عامة: النعيمي،

(٢)، ص ١١٢-١١١. ابن طولون، (١)، ص ٢٦٦-٢٦٨. محمد أحمد

دهمان، ص ٥٠-٤٨.

١٤- محمد أحمد دهمان، ص ٤٩-٤٨.

١٥- محمد أحمد دهمان، ص ٤٨-٤٧. ابن طولون، (١)، ص ٢٥٤، ٢٧٣-٢٧٢.

وكان قسم من الغرف (الخلاوي) التي أضيفت الى المدرسة تخدم المرادوة

وعُرفت بإسمهم "حارة المرادوة". أنظر المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

١٦- انظر حول إدخال المذاهب الأخرى في تدريس المدرسة العُمريّة والنزاعات

التي قامت حول هذه القضية: ابن طولون، (١)، ص ٢٦٣-٢٦١.

١٧- انظر عن ضياء الدين المقدسي ومدرسته وخزانة الكتب بها: النعيمي، (٢)،

ص ٩٩-٩١. ابن طولون، (١)، ص ١٤٠-١٣٠. محمد كرد علي، (٦)،

ص ٩٩. محمد أديب الحصني، ص ٩٦٠. ابن كثير، (١٣)، ص ١٥٣. محمد

أحمد دهمان، ص ٥٩-٥٧.

١- أبو شامة المقدسي هو مؤلف كتاب عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. انظر عن حياته وهجرة أجداده من القدس إلى دمشق

شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل أبو شامة المقدسي، عيون الروضتين

في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، ج ١، ص ٧٣-٧٠، (دمشق،

١٩٩١).

٢- عن هجرة بني قدامة إلى دمشق انظر: اسماعيل بن عمر أبو الفداء ابن كثير

البداية والنهاية، ١٣، (حلب، بدون تاريخ)، ص ٣٨-٣٧. شمس الدين محمد

ابن طولون، ج ١، ص ٧، ٨٣-٦٨، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحين

(دمشق، ١٩٨١). محمد أحمد دهمان، ص ٤٤-٣٥، في رحاب دمشق

(دمشق، ١٩٨٢).

٣- كان السلطان نور الدين محمود ابن زنكي (ت ٥٦٩/١١٧٣) قد نشر العلم

ودحض البدع وأظهر الدين. أنظر عن دور نور الدين زنكي في الأسهم في

مجال التعليم وفي احياء الدين والسُّنة: أبو شامة، (١)، ص ٣٥٥-٣٥٠.

٣٦٨-٣٨٤. وقد أقام السلطان نور الدين المدارس في كل من دمشق، حلب

حماة، حمص، بعلبك، منبج وغيرها من المدن الشامية، والتي أصبحت عاملاً

جذب لكثير من العلماء وطلبة العلم. أنظر عن بعض المدارس التي أقامها

وعُرفت فيما بعد بالمدارس العُصرونية: صادق أحمد جودة، المدارس

العُصرونية في بلاد الشام، (بيروت، ١٩٨٦).

٤- انظر: ابن كثير، (١٣)، ص ٣٧. ابن طولون، (٢)، ص ٤٤١-٤٣٩.

٥- انظر بعضاً من تراجم بعض العلماء من هذه العائلات: عبد القادر بن محمد

النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس (ج ١، ٢)، (بيروت ١٩٨١، ١٩٨٨).

وكذلك عند: ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، (١، ٢).

٦- انظر عن ترجمته: ابن طولون، (٢)، ص ٣٨٩-٣٨٨.

١٨- انظر : النعمي، (٢)، ص ٦٤ .

١٩- انظر عن أبناء أبي الفرج الشيرازي ودورهم الديني والثقافي في دمشق النعمي، (٢)، ص ٧٣-٦٤، ٨٤، ١١٣. ابن كثير، (١٢)، ص ٢٤٨. (١٣) ص ٣٥-٣٤، ٩١-١٣٢. تقي الدين محمد ابن رافع السلمي، الوفيات (٢) (بيروت، ١٩٨٢)، ص ١٣٦-١٣٥. محمد بن عبد الله الحنبلي النجدي السُّبُ الوابلة على ضرائح الحنابلة، (٩)، مكتبة الإمام أحمد، ١٩٨٩ ص ٤٩٩. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٤) (بيروت، ١٩٩٣)، ص ٤٨٠. ابن طولون، (٢)، ص ٤٢٧-٤١٥، ٥٨٦. ٥٧٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٤)، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٤٣-١١٣، ٢٨٦، ٣٤٠. المصدر نفسه، (٥)، ص ٨٥، ١٢٥. ٣٢٥، ٣٤٠.

٢٠- انظر بخصوص المدرسة صاحبة والمدرسة العالمية : ابن كثير، (١٣) ص ١١٦، ١٥٤. النعمي، (٢)، ص ٧٩-٨٦، ١١٢ - ١١٣. محمد أديب الحصني، ص ٩٦٠-٩٥٩. محمد كرد علي، (٦)، ص ٩٩ - ١٠٠ .

٢١- انظر عن بناء دار الحديث العروية ودورها: النعمي، (١)، ص ٨٩-٨٢. ابن كثير، (١٣)، ص ٩٣.

٢٢- انظر: ابن كثير، (١٣)، ص ٣٨-٣٧، ٧١، ٨٤. النعمي، (٢)، ص ١٢٢. ١٢١، ٣٩٥. محمد أديب الحصني، ص ١٠٢٢-١٠٢٧.

٢٣- النعمي، (٢)، ص ١٠٧. ابن كثير، (١٤)، ص ٢٤٠. ولي الدين أبو زرع ابن العراقي، (٢)، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٢٩٤ - ٢٩٥. ابن قاضي شهبة تاريخ ابن قاضي شهبة، (٢)، (دمشق، ١٩٩٤)، ص ٣٥٨. المصدر نفسه (٣)، (دمشق، ١٩٧٧)، ص ٤٨٨. انظر عن حلقة الثلاثاء بالجامع الأموي في دمشق: ابن طولون، (١)، ص ٢٦٠.

٢٤- ابن كثير، (١٣)، ص ٥٦-٥٥، ١٢٤. محمد أديب الحصني، ص ١٠٤٤. محمد كرد علي، (٦)، ص ٦٣. النعمي، (٢)، ص ٤٣٨-٤٣٥.

٢٥- انظر عن دار الحديث الأشرفية البرانية ومدرسيها : النعمي، (١)، ص ٥٥٠. ٤٧. انظر أيضاً : ابن كثير، (١٣)، ص ١٣٣.

٢٦- انظر : محمد أحمد دهمان، ص ٤٣-٣٨ .

٢٧- ابن طولون، (٢)، ص ٣٨٧، ٥١١. ويقول البدري (من علماء القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد) في وصف محاسن الشام، وبالذات الصالحة : " أنها مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتى أن بها قصبة دون ميل، تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل، إستولى عليها المباشرون والنظار. انظر : أبو البقاء عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص ١٩٠-١٩١، (بيروت، ١٩٨٠) .

٢٨- محمد أحمد دهمان، ص ٣٩-٣٨. انظر عن بعض العلماء من بني مفلح المرادوة: النعمي، (٢)، ص ٦١-٤٢، ٨٥-٨٣. فمثلاً الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم السيلي (السيلوي) (ت ٨١٦/١٤١٣) كان يُدعى أيضاً بالمقدسي. انظر عنه : النعمي، (٢)، ص ١٠٩. النجدي، ص ٣٣٧، ٤٥٥ .

٢٩- انظر : النعمي، (١)، ص ٢١-١٩ .

٣٠- النعمي، (١)، ص ٢٤-٢٣. انظر أيضاً عن المناصب التي تولّاها أبو شامة المقدسي في دمشق. أبو شامة، (١)، ص ٨٧-٧٩ .

٣١- النعمي، (٢)، ص ٤٢. انظر عنه أيضاً : ابن طولون، (٢)، ص ٤٩٤. ٤٩٦ .

٣٢- انظر عن هؤلاء العلماء المقادسة الذين درسوا في المدرسة الجوزية بدمشق : النعمي، (٢)، ص ٦١-٣١ .

٣٣- انظر عن ترجمته : ابن طولون، (٢)، ص ٤٦٣-٤٥٩ .

٣٤- ابن طولون، (٢)، ص ٣٨٨-٣٨٧ .

٣٥- المصدر نفسه، ص ٤٠٨-٤٠٧ .

٣٦- المصدر نفسه، ص ٤٤٢-٤٣٩ .

٣٧- انظر: The Transmission of Knowledge in, Jonathan Berkey

p.62, 1992), (Princeton, Medieval Cairo

٣٨- ابن كثير، (١٤)، ص ٣٠٨. ابن طولون، (٢)، ص ٤٩١. انظر عن ترجمة

شرف الدين ابن قدامة المقدسي : ابن حجر العسقلاني، (١)، ص ١٢١-١٢٠. النعمي، (٢)، ص ٤٦-٤٤ .

الريادي والهام الذي يلعبه قطاع المعتقلين الذي ينطبق عليهم اسم الشريحة المنهجية الدراسة وأسلوب تنفيذها :

في المجتمع ونظراً لضعف التحرك الشعبي المتواصل والمتفاعل مع قضية - تم اعتماد أسلوب المسح بالعينة عبر استمارة (استبانة) اشتملت على مجموعة الخطيرة ولغياب دراسات مشابهة.

ورغم الآثار السلبية المتعددة التي سببها استمرار اعتقال قطاع هام من شرفاء شعبنا فإنه لم تتم حتى الآن دراسة أشغالهم اليدوية والظروف المحيطة به - بشكل عام وتلك المؤثرة على عملهم أو غيابهم.

ومن الطبيعي أن تكون الحقائق والنتائج مهمة حيث أظهرت مدى تدهور المعتقلين وبالتالي الشعب بالقدس ورمزياتها وموقعها العقائدي في ظل التعرض للصهيوني وموقفه من القدس التي أجلتها المفاوضات للمرحلة النهائية التي لن نأخذ في ظل هذه الأوضاع.

وتكمن أهمية هذه الدراسة البسيطة لكونها الأولى من نوعها التي تتناول ظاهرة أشغال المعتقلين اليدوية وبات من الضروري إلقاء الضوء على هذه الظاهرة دون التقليل من شأنها رغم بساطتها.

الاستبيان :-

الفترة الزمنية وحجم العينة :

أجريت عملية تعبئة الاستبيان في سجن مجدو في الفترة الواقعة ما بين

١٩٩٩/١/٣ - ١٩٩٩/١/٣، حيث بلغ عدد المعتقلين في السجن ٦٢٢ معتقلاً موزعين كالاتي :-

- حماس ٤٧٦ معتقلاً بنسبة ٧٦,٥ %.

- فتح ٨٢ معتقلاً بنسبة ١٣,٢ %.

- الجهاد الإسلامي ٤٨ معتقلاً بنسبة ٧,٧ %.

- اليسار ١٦ معتقلاً ٢,٦ %.

ومن بين العدد الإجمالي ٨١ معتقلاً إدارياً موزعين كالاتي :-

- حماس ٦٩.

- الجهاد الإسلامي ٩.

- فتح ٣.

- اليسار صفر.

ادخل إلى السجن ١٥٠ استبياناً كعينة للدراسة وقد أجاب على الاستبيان

١٢٧ معتقلاً فقط.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة للتعرف على واقع المعتقلين في السجون الإسرائيلية

وإجراء تحليل لظاهرة أشغالهم اليدوية وتسعى الدراسة على وجه الخصوص لتحقيق ما يلي:

- فهم الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للمعتقلين المستهدفين.

- فهم الأسباب والدوافع التي أدت بهم لاختيار مثل هذا النوع من الشغل.

- التعرف على أنواع الأعمال التي يقوم بها المعتقلين.

- تحليل وجهات نظر المعتقلين من خلال أشغالهم وعلاقة ذلك بانتمائهم وأفكارهم السياسية.

الفئة العمرية :

- وتتوزع أعمار العينة المستهدفة كالتالي :-
- ما بين ١٦-٢٠ عاماً ٢٧ معتقلاً بنسبة ٢١,٥%.
- ما بين ٢١-٣٠ عاماً ٧٩ معتقلاً بنسبة ٦٢%.
- ما بين ٣١-٣٩ عاماً ١٩ معتقلاً بنسبة ١٥%.
- ما بين ٤٠-٤٤ عاماً ٢ معتقلين بنسبة ١,٥%.
- مكان السكن والتوزيع حسب المحافظات :-

- وتبين من النتائج أن ٦٤% من المعتقلين يقطنون في القرى و ٢٥% في المدن والدراسات العليا ١%.

١١% في المخيمات.

- يتوزع المعتقلين على المحافظات في الضفة الغربية بنسبة ٢٥% في رام
و ٢٤,٥% الخليل و ١٦% بيت لحم و ١٢% في نابلس و ١١% جنين و
طولكرم و ٢,٥% القدس و ٠,٥% قلقيلية و ٠,٥% سلفيت.

الحالة الاجتماعية :

وبلغت نسبة العزاب في العينة ٦٤,٥% مقابل ٣٤,٥% متزوجين و
مطلقين.

الانتماء الفكري والسياسي :

وتوزعت انتماءات العينة بالنسبة للفصائل والقوى السياسية بواقع ٧٦
للإسلاميين (حماس والجهاد) ١٢% فتح و ٥% اليسار ٧% مستقلين وهم محسوبون
على الاتجاه الإسلامي.

الحالة الإعتقالية :

وارتفعت نسبة الموقوفين في العينة لتصل ٥٧,٥% مقابل ٣٧% للمحكومين
و ٥,٥% للإداريين فيما بلغت نسبة من قضوا أكثر من عام ٥١% مقابل ٣٠,٥%
قضوا ما بين ستة شهور وعام و ١٩% قضوا ما بين شهر وستة شهور.

وتبين أن ٥٨% من المعتقلين اعتقلوا للمرة الأولى في حياتهم مقابل ٢١%
للمرة الثانية و ٢١% أيضاً اعتقلوا لأكثر من مرتين.

المستوى التعليمي :

وتصدرت نسبة المعتقلين المستهدفين الذين حصلوا على شهادة الثانوية
العامة - التوجيهي - العينة بنسبة ٥٤% تلاهم الجامعيين بنسبة ٢٤% ثم المرحلة
الإعدادية ١٣,٥% ثم الدبلوم الجامعي المتوسط ٨% والمرحلة الابتدائية ١,٥%.

المهنة قبل الاعتقال :

وجاء من النتائج أن الطلاب هم الفئة الأكثر تعرضاً للاعتقال وبلغت
نسبتهم ٣١% و ٢٨% يعملون بالصناعة و ٨% عاطلين عن العمل و ٤% تجارة حرة
وجاءت ما نسبته ٣١% مهن أخرى.

ممارسة العمل اليدوي في السجن :

وقد أجاب ٩٠% من العينة أنهم يمارسون الأشغال اليدوية في السجن
مقابل ١٠% لا يمارسون الأعمال لأسباب خاصة بهم.

المواد المستخدمة في الأشغال اليدوية :

وحسب النتائج فإن ٩٢% من المعتقلين يعملون بالورق والكرتون وهي
نسبة مرتفعة تلاها العمل بالخرز بنسبة ٦٠% ثم القماش ٥٩% وجاءت عملية
الرسم بالأقلام بالدرجة الرابعة وحصلت على ما نسبته ١٩% ثم الخشب ٧%
وأخيراً العمل بالحجارة ٣% مع ملاحظة أن المعتقلين ذكروا أن النسب السابقة هي
في المرتبة الأولى وأنهم يمارسون الأعمال بمواد أخرى غير الأولوية الأولى.

موقع القدس في أشغال المعتقلين :

وحسب النتائج التي أظهرتها العينة قال ٧٧% من المعتقلين أنهم يعملون في
أشغال تتعلق بالقدس ومعالمها المختلفة.

وقال ٣٢% انهم يعملون بأشغال تعبر عن السجن والقيود و ٩% بطيور الحر و ٤,٥% في مجال الأسلحة و ٦% بالمواد العاطفية و ٣% بتعبيرات عن الانتفاض مع ملاحظة انهم يعملون بأشغال أخرى مع القدس وهذا ما يفسر ارتفاع النسبة المئوية عن ١٠٠% وأجاب ٧٧% من العينة الإعتقالية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أشغالهم اليدوية والفكر والانتماء مقابل ٢٣% ذكروا أنه لا يوجد علاقة بينهما لفئة عمرية. قيامهم بالأشغال اليدوية.

وبلغت نسبة المعتقلين الذين قاموا بالأشغال اليدوية لثلاثة مرات ٢٠ ومرتين ١٥% وخمسة مرات ١٥% ومرة واحدة ١٣% وعشرة مرات ١٠% وتوزعت بقية النسب على أرقام أخرى قليلة تشكل حوالي ٢٥%.

أسباب اختيار العمل :

وحول أسباب اختيار المعتقلين للأشغال اليدوية أجاب ٦٠% منهم بأنه د للقدس ووفاء لها لموقعها الهام من حياتهم مقابل ٣٧% للذكرى و ٣٦% لقضاء الوقت و ٢٥% كحب للفن ورغبة في التسلية و ١٣% ارتباطاً بالعامل الأيديولوجي وقال ما نسبته ١١% من المعتقلين انهم يقضون أقل من ساعة يومياً في الشغل اليدوي مقابل ٢٦% يقضون ساعة و ٣٤% يقضون ساعتين و ٢٩% يقضون أكثر من ساعتين في الشغل.

وقد عمل ٤٧% من العينة بناء على القناعة الذاتية بالعمل والرغبة بـ ٤٠% تأثراً بأعمال المعتقلين و ٤١% بناء على طلب الأهل والأصدقاء. مشاهدات المعتقلين

وحسب مشاهدات المعتقلين المستهدفين في العينة قال ٩٦% منهم شاهدوا رفاقهم يعملون بأشغال تتعلق حول القدس و ١٠% حول الحرية و ٧% حول السجن والقيود.

وقال ٩٣% من المعتقلين انهم يقومون بإهداء أعمالهم بعد الانتهاء منها ويحتفظ ٨% منهم بها في السجن أو البيت و ١% يقوم بتسويقها.

وحول دور وسائل الإعلام وتأثير ذلك على أعمالهم أجاب ٧٠% منهم أن لا تأثير لها مقابل ٣٠% قالوا بأن وسائل الإعلام تؤثر على أعمالهم اليدوية.

العلاقة بين العمر وأشغال القدس :

لوحظ من خلال قراءة النتائج ان أعلى نسبة للفئة العمرية التي أنتجت أعمالاً حول القدس تركزت في الأعمار ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤ بنسبة بلغت ١٠% لكل وجاء في المرتبة الثانية الأعمار ٢٣، ٢٦ بنسبة ٩% لكل منهما وتقل النسبة إلى النصف أو دون ذلك في بقية الأعمار.

العلاقة بين مكان السكن وأشغال القدس :

وعند النظر في العلاقة بين مكان السكن وأشغال القدس تبين أن أكبر نسبة بين المعتقلين الذين يعملون بأشغال القدس هم من الريف الفلسطيني ونسبتهم ٦٧% مقابل ٢٦% للمدن و ٧% لقطاع المخيمات وفي تقديري يعود ذلك لكون المدن والمخيمات تحت سلطة السلطة الفلسطينية في ماضٍ الريف خاضعاً لسلطة الاحتلال حيث يتعرض أبناؤه لحملات متلاحقة من الاعتقال وهذا ما يفسر ارتفاع نسبته وبالتالي نسبة أشغالهم بالقدس.

وتبين أن الذين يعملون بأشغال القدس يقطن منهم ٢٦% في محافظة الخليل و ٢٢,٥% رام الله و ١٦,٥% بيت لحم وجنين و ١٢,٥% نابلس و ١١,٥% طولكرم و ٦% والقدس ٣% وسلفيت وقليلية ١% لكل منهما.

المدة والحالة الإعتقالية والعلاقة مع الشغل :

ويتضح وجود ارتباط وثيق بين ارتفاع نسبة الاشتغال بأعمال القدس وبين طول مدة الاعتقال حيث بلغت النسبة لمن اعتقلوا لأكثر من عام ٤٤% فيما بلغت ٣٤% لمن اعتقلوا ما بين ستة شهور وعام واحد.

وتناقصت النسبة في الفئة التي اعتقلت ما بين الشهر وستة شهور لتصل ٢٢% فقط ويبدو أن قصر المدة الإعتقالية يساهم بشكل واضح في انخفاض النسبة وهو ما سنراه في العلاقة بين الحالة الإعتقالية والقدس.

ويتضح أن هناك ارتفاعاً في نسبة الاشتغال بالقدس بين فئة الموقوفين :

٥٥% وقد يعود ذلك لأنهم غير محكومين وانهم حديثي الاعتقال ولديهم الرغبة في - المبادرة بعمل متحف أو متاحف وطنية تهتم بأشغال المعتقلين اليدوية
أشغال أنفسهم بأي عمل حتى يحين موعد المحاكمة أو الإفراج. وتقل النسبة بين
المحكومين وتبلغ ٣٩% وتنخفض بشدة بين الإداريين إلى ٦%.

كما تزداد نسبة الاهتمام بأشغال القدس لدى قطاع العزاب والذين تبلغ - دعوة الجهات ذات العلاقة والمهتمة بشؤون الأسرى من المؤسسات الرسمية
نسبتهم ٦٤,٣% فيما تهبط النسبة إلى حوالي النصف ٢٤,٧% بين المترددين والشعبية والحقوقية لتبني إنتاجات المعتقلين.

وتكون النسبة بين المطلقين ١% فقط. - إقامة معارض فنية لأشغال المعتقلين في شتى محافظات الوطن ورصد ريعها
للمعتقلين وعائلاتهم.

وقد يعود السبب لارتفاع النسبة بين العزاب هو عدم وجود المسؤول الاجتماعي والأسرية قياساً على فئة المتزوجين الذين يحملون عبئ ومسؤولية
أسرية أو أكثر أو يتخوفون من ضياع مصالحهم التجارية والخاصة.. الخ.

العلاقة بين الانتماء وأشغال القدس :

وفي حالة حساب العلاقة بين الانتماء الفكري والاشتغال بالقدس نجد
النسبة في صفوف حركة فتح وصلت إلى ٩٢% مقابل ٩٠% للإسلاميين و٦١% - دعوة المؤسسات المهتمة وذات العلاقة لعقد ورشات عمل تتعلق بأشغال
الليسان ومثلها للمستقلين وعند دراسة هذه النتيجة بالذات يجب عدم إغفال
المعتقلين لكل فصيل أو منظمة حيث أن النسبة الكبيرة للإسلاميين مقابل انخفاض ٧% وأخيراً دأبت بعض الدول العربية والإسلامية على اعتماد يوم أو أسبوع القدس
ومن الضروري أن يقوم أهل القدس وفلسطين بتكريم القدس بيوم أو أسبوع
تكون القدس فيه نبض حياتهم على طريق التمسك بالقدس وتوسيع رقعة
التوعية بأهميتها وموقعها بالنسبة للشعب الفلسطيني والعرب والمسلمين.

ملاحظة : كنت قد تابعت ما يتم عرضه بالجامعة ولاحظت أنه أقيم في
شهر تشرين ثاني الماضي معرضين للكتل الطلابية الأول في ٩٨/١١/١ للكتل
الإسلامية عرض فيه ٦٩ قطعة من أشغال المعتقلين اليدوية منها ٤٩ قطعة حرة
القدس بنسبة ٧١% كما عرض في ١١/٨ من الشهر نفسه بمعرض لحركة
الشبيبة الطلابية ١٤ قطعة من أشغال المعتقلين نصفها حول القدس بنسبة
٥٠% ويتضح من ذلك أيضاً مدى الاهتمام الكبير بالقدس ومعالمها.

القدس

تاريخها العربي والإسلامي

القدس هي الهدف الأول في هذا المؤتمر وهي القلب النابض لفلسطين، فلسطين التي هي بوابة القادمين من آسيا في طريقهم إلى إفريقيا. وهي إحدى المنافذ الآسيوية المطلة على البحر المتوسط باتجاه أوروبا، وهي الممر الذي لابد من اجتيازه منذ قرون وقرون لمعظم القوافل المتحركة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس. وهي فضلا عن هذا كله ذات مكان وسط عبر مساحات العالم القديم على المستوى السياسي والعسكري والحضاري. فلسطين بمثابة الرقبة التي تصل الشرق بالغرب-ميدان للقتال- أو جسر تجتازه جيوش أوروبا وآسيا وإفريقيا أثناء الحروب وسوق للتجارة. ليس في العالم بقعة من الأرض أتحفت العالم بما أتحفته به القدس من دين ومدينة.

المقدمة :

دول أتت ودول زالت أما الفلسطيني فهو ثابت لا يتزعزع، الشعوب التي كرامة العيش أفضل من العيش -والإنسان الإنسان هو الذي ينشر الكراهة ويتفقا ظلالتها- ويسمو بجانبه النبيل إلى أعلى مراتب الوحدة -الوحدة الشخصية ليومنا هذا هي شعوب عربية، وكانت هذه الشعوب تتسرب إلى فلسطين وحدانا ثم والوحدة في النفس والروح - والوحدة في التفكير والهدف. ليس من الغريب أو العار أن تمر الأمة العربية والإسلامية في سلسلة طويلة من النكبات المتعددة المتنوعة والتي يجمع فيما بينها نقطة التقاء واحد تتلخص في محاولة تحدي كرامة الإنسان العربي. بل الغرابة كل الغرابة في أن تمر الأمة بمثل هذه النكبات والتحديات لأن النكبة والتحدي هما محك جوهر الأمة ومقياس حيويتها وإبداعها. فما من أمة في التاريخ إلا وعرفت مثل هذا التذبذب في خطها البياني تتأرجح ما بين ازدهار وانحطاط وبين إباء ومذلة والعار كل العار في أن لا تقبل امتنا العربية التحدي.

القدس عربية أولا :

إن كل من اهتم بالتاريخ يتجاذبه عاملان قويان :

- اورشالم (نسبة إلى الإله شالم اله السلام لدى الكنعانيين).
- اورشليم (تلفظ بالعبرية يورشلايم وهي مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية).
- ييوس (نسبة إلى اليبوسيين وهي إحدى القبائل الكنعانية التي بنت مدينة القدس)
- مدينة الله-مدينة القدس -مدينة العدل -مدينة السلام.
- إيلياء (سماها الإمبراطور الروماني هادريانوس وإيلياء هو الاسم الأول للإمبراطور هادريانوس).

أولهما عام : وهو حب العلم -وهذا يهم العربي الذي طمع في العلم ورغب فيه-، وثانيهما خاص : وهو الرغبة في الاطلاع على تاريخ قومه ووطنه فمن الواجب والمحتم على كل عربي أن يمزجه بدمه ونفسه لارتباط تاريخ وطنه وبلاده بأمتة الذي ينعش النفس ويحييها.

تمتاز القدس بموقعها الجغرافي، هذا الموقع الذي يجمع بين ميزة الانتماء لما يعطيه للمدينة من حماية وميزة الانفتاح وما يعطيه من إمكانية الاتصال بالمناطق والأقطار المجاورة. وترجع أهمية القدس إلى مركزية الموقع بما يجمع من صفات الانغلاق والانفتاح.

ومهما كان من أمر فإن القدس قد شددت عبر قرون تألقنا الحضاري أنظ الكثير من المؤرخين والجغرافيين. فشدوا إليها الرحال هدفا بحدته ذاته أو طريقا هدف. فقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة البريطانية (كا م. كينون) عام ١٩٦١ بقايا السور الأول الذي بناه اليبوسيون. إن خضوع فلسطين للعرب المسلمين منذ أربعة عشر قرنا هو خضوع حديث.

يقول ج. م. جفريز : لقد بدأ امتلاك العرب لفلسطين قبل خمسة آلاف سنة ولم ينقطع عنها في يوم من الأيام حتى يومنا هذا، انه أقدم امتلاك على ظ الأرض واشدها قوة وإمعانا، انه امتلاك كان له نصيب من الفتح، وله رسو الطويل في التربة.

إن تلك الأجيال التي لا تحصى من الفلاحين الذين رسخت أقدامهم في تراب فلسطين - لهي التي تجعل امتلاك العرب لها يعلو فوق كل امتلاك عداه. إن مقارنة الوضع التاريخي للعرب في فلسطين بالوضع التاريخي لغير - فيا لبعد الثرى عن الثريا- وأن أي امتلاك لغير العرب لها كان بمقدار عم برغشة ثم تلاشت.

القدس إسلامية ثانيا :

إن العرب السلم على وجه الخصوص يجد في انفتاح دينه على سا الأديان السماوية السابقة ومعطيائها، يجد في كتاب الله جلّت قدرته وسنة رسو عليه الصلاة والسلام من التقدير والتكريم لهذه البقعة المباركة ما يدفعه دفعا إلى وصف كل ما تقع عليه عيناه من تراث فلسطين العرب الإسلامي والى الحدي نتلهم وعشق على كل ما تلمسه يده أو تطأ قدماه، انه يدخل محرابا دينيا كبير وعظيما توالى على أرضيته نبوات السماء الكبرى ووقف في ساحته المبارك

أنبياء الله جميعا عليهم أتم الصلاة والتسليم، يصلون يوم الإسراء والمعراج وراء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم. القدس - القدس الشريف - إنها في القلب من فلسطين تتربع على مكان عال فكأنها تتادي العرب والمسلمين وتفتح لهم صدرها.

القدس أو بيت المقدس شرفها الله سبحانه وتعالى بان جعلها أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسوله الكريم ومصعده إلى السماوات العلى فلذا كانت القدس قلب فلسطين فان مسجدها الأقصى المبارك هو السويداء. كما أن قبة الصخرة المشرفة شقيقة الأقصى المبارك فهي من اعجب المباني أتمنها وأعربها شكلا.

فلسطين في العهد المحمدي :

كان فتحا محمديا عظيما، حيث احتلت مدينة القدس في الدعوة الإسلامية مكانا هاما منذ البداية، وتمثل ذلك في القرآن الكريم حيث قال تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير". فالى القدس أسرى بمحمد عليه السلام حيث وقف في ساحة الأقصى المبارك أنبياء الله جميعا يصلون يوم الإسراء وراء خاتم الأنبياء والمرسلين ومن القدس عرج محمد إلى السماوات العلا. إلا يعتبر ذلك فتحا محمديا عظيما أراده الله سبحانه.

أما في السنة النبوية أشار النبي الكريم محمد عليه السلام إلى المسجد الأقصى حيث قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا و المسجد الأقصى ".

والمسجد الأقصى هو أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين (أي هو القبلة الأولى للمسلمين) حيث كانوا يتوجهون إليه في صلاتهم منذ أن بعث النبي عليه السلام إلى أن أمره الله تعالى بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة في مكة المكرمة بعد الهجرة بستة عشر شهرا.

وقد حث الرسول عليه السلام إلى زيارة الأقصى المبارك والصلاة فيه تقرباً إلى الله تعالى حيث قال : " انتوه فصلوا فيه وان لم تأتوه وتصلوا فيه فإياهم بزيت يسرج في قناديله.

القدس في العهد الراشدي :

ويتجلى ذلك في الحقيقة التاريخية التالية: بان القدس أو بيت المقدس هي التي سار لفتحها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويحكي التاريخ أن رسل إيلياء (القدس) جاءوا إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين في عهد الفتح العربي الإسلامي لفلسطين، يعرضون الصلح ويشترطون أن يتولى عمر بنفسه تسلم القدس، وفي الجابية جنوب دمشق، وقع أمير المؤمنين العهد، وشهد عليه خاتم بن الوليد وعمر بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن عوف، وفي هذا العهد أعطى أمير المؤمنين لسكان القدس الأمان على أنفسهم ودينهم وكنائسهم وصلبانهم، ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود على أن يدفعوا الجزية وذهب عمر إلى القدس عام ٦٣٨م ودخلها مع بطريقها (صفرونيوس) وطائفة صفرونيوس الملقب بحامي الكنيسة، معسول اللسان مع أمير المؤمنين أنحس القدس، وكان صفرونيوس هو حامي مدينة القدس الذي حمل لواء الدفاع عنها، فهو يملك قانوناً حق التنازل عنها وتسليمها وإبرام العهود بشأنها مع العرب الفاتحين.

لذا فأصبحت القدس عربية إسلامية عن طريقين، طريق الفتح وطريق التنازل، وهذا ما يؤيده ويقره القانون الدولي.

لقد فتح دخول الجيش الإسلامية القدس باب التسامح الديني الذي دشنته الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعهدته مع سكان القدس النصاري وهم العهد الذي سار أساساً للتعايش الديني في فلسطين بأسرها.

القدس في العهد الأموي :

لقد اهتم خلفاء بني أمية بالقدس-بيت المقدس- وهذا تجلّى في حرص اثنين من الخلفاء الأمويين على اخذ البيعة لهم في بيت المقدس. أول هؤلاء الخلفاء هو معاوية بن أبي سفيان فقد اخذ البيعة له في بيت المقدس حيث بوبع بالخلافة فيها سنة ٤٠ هجري.

وثانيهما سليمان بن عبد الملك، فقد توجه بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك إلى القدس -بيت المقدس- وبوبع بالخلافة فيها فقد كان يتقبل البيعة في مسجدها الأقصى المبارك، وقد هم بالإقامة فيها واتخاذها منزلاً مباركاً له. أما عمر بن عبد العزيز، فقد طلب من جميع ولايته أن يزوروا بيت المقدس ويقسموا يمين الطاعة والعدل بين الناس في المسجد الأقصى. كما اهتم عبد الملك بن مروان بقبة الصخرة المشرفة والوليد بن عبد الملك بالمسجد الأقصى.

القدس في العهد العباسي

لما ثار الخوارج في أفريقيا على أبي جعفر المنصور، سار على رأس الحملة حتى بيت المقدس، وفي مسجدها الأقصى وهناك ودع الحملة ودعا لها بالنصر، وأقام أياماً في القدس وقد قام الخلفاء المنصور ومحمد المهدي والمأمون بتعمير وتجديد ما خرب في المسجد الأقصى وقبة الصخرة على اثر الزلازل المتكررة.

القدس في العهد الأيوبي :

وهذا يتجلى في سيرة البطل صلاح الدين الأيوبي وانتصاراته العظيمة في معركة حطين عام ٥٨٣ هجري، ١١٨٧م، واسترداده بيت المقدس من الصليبيين الذين عاثوا فساداً على قبة الصخرة المشرفة وفي المسجد الأقصى.

وهذا هو الدليل القاطع لا على أهمية القدس-بيت المقدس- عمارة وحجارة فقط، وإنما لكون القدس هي المقياس والمعيار الحقيقي لسلطة الدولة ومكانتها. ومع كونها أحد الرموز الخالدة في التراث العربي الإسلامي.

القدس في الشعر العربي المعاصر

د. عادل الأسطة

يرغب الدارس، في هذه الدراسة، في تتبع موضوع القدس في الشعر العربي المعاصر، وذلك من خلال تناول خمس قصائد لخمس شعراء معروفين جيدا على مستوى الوطن العربي، وهم : محمود درويش وأمل دنقل ومظفر النواب وعبد اللطيف عقل وأحمد دحبور.

ويدرك الدارس جيدا أن موضوع القدس حظي بغير دراسة و أهمها الدراسات التالية :-

١. د. عبد الله الخباص، القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن، ١٩٩٥، والكتاب رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الأردنية عام ١٩٨٩.
٢. د. فاروق مواسي، القدس في الشعر الفلسطيني الحديث، الناصرة ١٩٩٦.
٣. د. محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث: القدس، بيروت، البصرة، ١٩٤٨-١٩٨٨، الجامعة الأردنية، رسالة دكتوراه مخطوطة.
٤. د. عامي اليعاد، القدس في ادب عرب اسرائيل في فترة الانتفاضة ٨٧-١٩٩٣، (بالعبرية).
٥. وقد نشرت صحيفة القدس بتاريخ ١٩٩٩/٣/٢٣ خبرا يشير بأن السيد فؤاد السلطان من غزة قد ناقش رسالة دكتوراه عنوانها " القدس في الشعر العربي المعاصر " واشرف عليها د. صلاح فضل في معهد البحوث العربية، جامعة الدول العربية، ولم يتح لي الاطلاع على الدراسات الثلاث الأخيرة.

القدس في العهد المملوكي :

دخلت القدس في حوزة المماليك وحظيت القدس في عهدهم باهتمام كبير وغدت في عهدهم مركزا من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي.

القدس في العهد العثماني :

بعد أن توفي السلطان سليم، خلفه ابنه سليمان القانوني الذي اهتم بالقدس اهتماما خاصا، وأقام فيها منشآت كثيرة منها صور القدس الذي دامت عمارته أكثر من خمسة أعوام، كما عمر في قبة الصخرة المشرفة، كما أضاف العثمانيون كلمة الشريف للقدس.

وأخيرا أصبحت القدس منذ النصف الأول من القرن السابع الميلادي عربية إسلامية لمدة تزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان، وهذا هو الحق في التقادم وهو اكتساب الملكية بوضع اليد المدة الطويلة ومباشرة مظاهر الملكية لفترة طويلة والظهور بمظهر صاحب الحق مدة مستطيلة، الأمر الذي يرتب على القانون إضفاء الحق على من تقادم عليه العهد في ممارسته.

وليس هناك تاريخ مدينة يظهر من خلاله الترابط الوثيق بين العرب والإسلام كتاريخ القدس -بيت المقدس-.

مدخل :

- ١- ملاحظات حول دراستي الخباص ومواسي.
- ٢- القدس في شعر أبنائها : تساؤلات ونظرة عامة.
- ٣- القدس والشعراء الذين أقاموا فيها أو بالقرب منها.
- ٤- دراسة في القصائد التالية: تحت الشبايك العتيقة لمحمود درويش، سرحان يتسلم مفاتيح القدس لأمل دنقل، وتريات ليلية لمظفر النواب، القدس لعبد اللطيف عقل، سؤال شخصي للقدس لأحمد دحبور.

مدخل :

حظي موضوع المدينة في الشعر العربي المعاصر بغير دراسة، ولم أبرزها ما ورد في كتاب الدكتور عز الدين اسماعيل " الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية " (١٩٦٦)، وما ورد في كتاب الدكتور إحسان عباس " اتجاهات الشعر العربي المعاصر " (١٩٧٨)، ودراسة الدكتور مختار أبو غالي " المدينة في الشعر العربي المعاصر " (١٩٩٥).

ولم يذكر الدكتور عز الدين أي شئ عن علاقة الشعراء بمدينة القدس فيما أشار الدكتور إحسان إلى قصيدة الشاعر العراقي حميد سعيد " توقعات حور المدن المهزومة " ، وفيها تبدو القدس سبية :

ملك يهودي يقضي ليلة معها

وقد لقت

فأولدها دماً مرّاً

ومات صبيها العربي مقتولاً.

وكما يبدو من الهامش الأول في الصفحة ٩٢ فإن القصيدة وردت في ديوان " قراءة ثامنة " (١٩٧٢). ومع أن الدكتور عباس كتب عن علاقة أمل دنقل بالمدينة إلا أنه لم يأت على ذكر قصيدته المدروسة هنا. ولم أتمكن من الاطلاع على دراسة الدكتور أبو غالي لأرى مدى حضور القدس في كتابه.

ويلاحظ من خلال قراءة دراستي د. اسماعيل ود. عباس أن أبرز الشعراء العرب الذين درسهم الدارسان لم ينتقنا إلى مدينة القدس، وانهم أي الشعراء العرب - كتبوا عن المدينة مجردة تارة، وعن المدن التي عاشوا فيها طورا، وغالبا ما كانوا متأثرين بالشعر الأوروبي، وان عبروا أيضاً عن تجاربهم، ومعظمهم من أبناء الريف الذين وفدوا إلى المدينة، مع المدينة.

وقد لاحظت د. سلمى الخضراء الجيوسي في مقدمتها لموسوعة الأدب العربي أن القراءة المتأنية لأدب الشتات تبرز "انعدام الارتباط بالأمكنة الجديدة التي نزل فيها الفلسطينيون في أي مكان خارج وطنهم ... " (ص ٧٢) ورأت أن موقف الكتاب الفلسطينيين من المدينة بشكل عام يختلف عن موقف الشعراء العرب منها، ففي حين صب الشعراء العرب جام غضبهم على المدينة، ورأوا فيها مكانا للرشوة والفساد والمخاطر والانحلال الاجتماعي والتآمر السياسي، بدت المدينة في شعر الشعراء الفلسطينيين: " أما مدينة محاصرة يحتلها الغاصبون أو مدينة فقدتها أهلها، وفي كلا الوضعين لا يمكن أن يكون ثمة اغتراب " (ص ٧٣).

وهو رأي فيه قدر من الصحة إلا أنه لا ينطبق على جميع الشعراء، كما سنرى في أثناء دراستنا الشاعر عبد اللطيف عقل.

١- ملاحظات حول دراستي الخباص ود. موساسي :

درس د. عبد الله الخباص موضوع " القدس في الأدب العربي الحديث : في فلسطين والأردن " بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٨٤، وقد شملت دراسته الشعر والقصص القصيرة والرواية والمسرحية، ودرس الشعر في مائة وعشر صفحات، وخصص ستا وستين صفحة للإشارة إلى الشعراء وقصائدهم التي ورد فيها ذكر عن القدس.

وليس هناك من شك في أن د. الخباص قام بجهد كبير، يحمده له ويشكر عليه، ولكن الدارس لكتابه يخرج بنتيجة تخيب الآمال حول قصيدة القدس، فعلى الرغم من كثرة الشعراء الذين ذكروا المدينة، وقد بلغ عددهم مائة وواحداً وتسعين شاعراً، إلا أن قصائد قليلة هي التي درسها الدارس ، وهي قصائد لم تكتب أصلاً عن المدينة وحولها، ومنها مثلاً قصيدة محمود درويش " سرحان يشرب القهوة في

الكافثيريا ". وإذا كان الدارس الذي قسم بحثه إلى ثلاث مراحل، و أعنى ه
 الفصل الأول الخاص بالشعر، وهي : ١- من ١٩٠٠ حتى ١٩٤٨. هو أن دراسة كل منهما لم تبرز مكانه المدينة في قلوب الشعراء قياساً إلى مكانة
 ١٩٤٨- ١٩٦٧. ٣- من ١٩٦٧ - ١٩٨٤، إذا كان الدارس قد توصل بعد دراه غيرها من المدن، فقد اكتفى الاثنان بتتبع القصائد التي أتى أصحابها فيها على ذكر
 المرحلة الثالثة إلى أن صورة القدس في المرحلة الثالثة " تعد متقدمة على قصص القدس، ولم يشير إلى حضور المدن الأخرى في أشعار الشعراء المدروسين، وهذا
 المرحلتين السابقتين أو متفوقة عليها كما وكيفا" (ص ١٢٩)، فإن القصائد المتفوقة خلل فاضح في الدراستين ما انبغى أن يقع فيه.
 التي أشار إليها وجعلته يقول : " إن المسافة قد اقتربت بين بعض الشعر
 المبدعين والقدس من أمثال محمود درويش وفدوى طوقان، بل لقد أزيلت الحواج
 بينهم وبين القدس، فالتصقت القدس بهم والتصقوا بها" (ص ١٣٠) تعزز لدي
 ذهبت إليه. فدرويش مثلاً، لم يكتب سوى قصائد قليلة عن القدس، ومثله فدو
 طوقان، بل أن الدارس لم يشر في دراسته إلى أبرز قصيدة كتبها درويش ح
 موضوع القدس، وهي القصيدة التي سأدرسها في هذه الورقة. كما أن الخبا
 يدرس قصائد جديرة بأن يقف أمامها مطولاً، لأنها تبرز صورة للمدينة، و أبرز
 قصيدة فوزي البكري " على أطلال المدينة ".

وكان الدكتور فاروق مواسي أقل توفيقاً. فهو من ناحية لم يطلع عل
 دراسة د. الخباص، ومن ناحية ثانية أهمل قصائد عديدة جعلته يتوصل إلى نتا
 غير صحيحة فيما يتعلق بقصيدة القدس، ولعله، فيما بعد، يعيد النظر في دراس
 كلها.

لقد أهمل د. مواسي قصيدة راشد حسين " أورشليم "، كما انه لم يلتفت
 مثله مثل الخباص، إلى قصيدة محمود درويش: " تحت الشبايبك العتيقة " وهك
 توصل إلى نتائج، حول بدايات قصيدة القدس، غير دقيقة. لقد ذهب د. مواسي إل
 أن أغنية فيروز التي كتبها الأخوان رحباني هي المشرع الأول لقصيدة القدس تلتها
 قصيدة نزار قباني " القدس ". لقد كتب درويش قصيدته إثر هزيمة حزيران
 ١٩٦٧، حين زار أيضاً القدس المحتلة، وهذان اسبق من الشاعر الفلسطيني أديب
 رفيق محمود ابن عنبنا الذي بدأ القصيدة الأولى عن القدس، كما يذهب د. مواسي
 (ص ٧).

ولعل الأهم مما سبق، حول دراستي الدكتور الخباص والدكتور مواسي،
 هو أن دراسة كل منهما لم تبرز مكانه المدينة في قلوب الشعراء قياساً إلى مكانة
 القدس، ولم يشير إلى حضور المدن الأخرى في أشعار الشعراء المدروسين، وهذا
 خلل فاضح في الدراستين ما انبغى أن يقع فيه.

يورد د. الخباص، مثلاً، في فهرسه أن عبد الكريم الكرمي ذكر القدس في
 ست عشرة قصيدة (من ٢٩١-٢٩٢)، وحين يذكر في متن دراسته، في الفصل
 الثاني من قسم الشعر أي ما بين ١٩٤٨- ١٩٦٧، أهم القصائد التي أتى فيها
 أصحابها على ذكر القدس، يورد للشاعر قصيدتين هما " درب الهوى " (ص ٦٩)
 " والتلاقي " (ص ٨٣). ونحن نعرف أن أبا سلمى أبرز شاعر فلسطيني، في تلك
 الفترة، تغنى بالمدن الفلسطينية، ولو كان الخباص قام بإجراء مقارنة بين كتابة أبي
 سلمى عن يافا وحيفا وكتابته عن القدس، لأعطى تفسيراً معقولاً لسر خفوت قصيدة
 القدس في تلك المرحلة.

لم تكن القدس حتى عام ١٩٦٧ تحت الاحتلال، ولهذا لم يتغن بها أبو
 سلمى كما تغنى بالمدن السليبية الضائعة، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن أبا
 سلمى أنفق وقتاً طويلاً من أيامه في حيفا، ولو كان عاش في القدس لكتب أيضاً
 قصائد يتغنى فيها بالمدينة المقدسة، وهو ما نجده في أشعاره، فقد تغنى أبو سلمى
 بدمشق التي أنفق فيها شطراً طويلاً من عمره.

٢ - القدس في شعر أبنائها :

لقد خص الشعراء العرب المعاصرون المدن التي عاشوا فيها بقصائد
 يعتبر بعضها من عيون الشعر العربي، ويكفي أن أشير هنا إلى قصيدة محمود
 درويش "بيروت"، وليس هذا بمستغرب، فما من شك في أن الشعر الذي يصدر عن
 تجربة معيشة، إذا صدر عن شاعر موهوب، يتلقى من الآخرين ويكرر لأنه يمتلك
 سطوة التأثير من ناحيتين : التجربة المعيشة وسطوة الكلمات الجميلة.

وهنا نتساءل عن شعراء مدينة القدس خلال السنوات الثلاثين الأخيرة وهل قبض للمدينة شاعر موهوب يمتلك الكلمات والمخيلة ليبرز صورة متميزة للمدينة تليق بماضيها التاريخي وبأهميتها الدينية ومكانتها الروحية، كما قبض لبيروت العديد من الشعراء العرب المتميزين؟

لم يعيش في القدس، من أبنائها ممن كتبوا الشعر، سوى فوزي البكري وإبراهيم قرايين وليلى علوش - وأغلب الظن أنها من رام الله - واسحق موسى الحسيني، والأخير ليس بشاعر محترف، وإن تمكن من نظم الشعر.

في كتابه "خواطر العمر" (١٩٩١) ثمة مقطوعات ذكر فيها الحسيني مدينة القدس وبين مكانتها، فتحت عنوان "أقدس الله" يكتب الحسيني الذي لقب الدكتور ناصر الدين الأسد بعاشق القدس، عشرة أبيات على البحر الوافر، يذهب فيها إلى أن القدس زهرة المدائن، فيها يوضع المسك وتشدو الحمام، وهي - أي القدس - مدينة طهرها دائم لا دخيل، كما الطهر في الدنيا، منها سرى الرسول وخرج عيسى يهدي الآثمين (٣٥) :

سماؤك مسّت الدنيا بطهر
أحاطتك المآذن شامخات
فشاع النور وانداحت مراحم
تلألأ كالجواهر في المعاصم

وكان الحسيني قد كتب هذه القصيدة في ١٩٨٠/٥/٢، وقبلها كتب قصيدة أخرى تحت عنوان "أنقذوا بيت المقدس" ونشرها أيضاً في القدس بتاريخ ١٩٧٦/٩/٨، وفي ١٩٨٤/٥/١١ كتب أبياتاً أهداها لصديقه ناصر الدين النشاشيبي، بعد أن قرأ كتابه "الحبر اسود اسود". ويظهر الحسيني المدينة باكية حيث لا تعلق الشمس وراء جبالها. لقد اختفى النجم وحلت ليلة ظلماء. وتذكرنا القصيدة بقصائد فترة الحروب الصليبية يوم كانت القدس في أسر الصليبيين :

ومساجد الله التي قدستها
انظر حواليك وطّف في بلدة
ثم اختفى النجم وحلت ليلة
تكلّى تتوح على ديار خاوية
كانت وكنا في حياة راضية
ظلماء في أعقاب ريح عاتية

وبعد فوزي البكري أبرز شعراء القدس. لقد خص المدينة في ديوانه الذي عنوانه "صعلوك من القدس القديمة" (١٩٨٢) بغير قصيدة. ولقد أشار علنا إلى أنه يشرب الخمر وأنه فقير صعلوك، وهذا مما لاشك فيه سيحرم المدينة من قصائد تظهر مكانتها الدينية والروحية، فليس البكري بمتصوف أو عابد يهيم في المدينة عشقا روحيا، وإن كان ينتمي إليها وإلى بيوتها القديمة، ويدرك البكري أن الصعلوك لا يشكل في سكره خطراً على المدينة قدر ما تشكل معاول حزب (المعراخ) أكبر الخطر :

لن يهدم الحي الحزين تطوحي
سـيظل بنيان المدينة قائماً
وترنحي وتعربدي وصراخي
ما لم تتله معاول (المعراخ)
ص (٤٠١)

ولا تعد قصيدته "هل يسقط بيت المقدس؟" قصيدة مميزة. إنها صدى لأشعار النواب ليس أكثر. والقدس فيها هي القلب، وهي شقيقة الكعبة، وليس في القدس سوى الألم والفقر والجوع. ويذكر في قصيدته "موال في عشية عرارية"، يذكر القدس ويصورها غداء باكية لم تعد مآذنها صارخة ولا ناقوسها رناناً، إنها :

تكاد تبكي من ألم تهوي بصخرتها
وليس يحنو على آلامها حانئ (ص ٩٨)

وربما كانت قصيدة "على أطلال المدينة" أفضل ما كتب البكري عن القدس. إن القدس هنا امرأة ذات نظرة خجولة وجوانح هزيلة، وهي عذراء تقرأ في كتاب الليل مهزلة الرجولة - وهذا يذكرنا بمظفر النواب وتصويره القدس مغتصبة لا يستطيع العرب الدفاع عنها -، والقدس أيضاً وحيّ وثديّ الفضيلة، وهي أخت المآسي ومعفرة الجديلة :

قدساي أخت المآسي يا معفرة الجديلة
قد يستحيل الشهد دمعاً فوق وجنتك الأسيلة
وتمر عبر أصيلك الأنسام عابسة ثقيلة (ص ٣٤)

وتكتب ليلي علوش في ديوانها " أول الموالم ... آه " (١٩٧٥) " قديم

العودة إلى القدس"، وهي قصيدة مكونة من أربعة مقاطع، يقع الأول في عشر أسطر شعرية، وفيه تخبر الشاعرة عن عودتها إلى القدس وتحت ذراعاها عكاز شكلت إحداها الأراجيف ووآد البنات وكرباج كسرى ودمدمة الزار، فيم تشبه الثانية كل مواسم المدينة القانية. إن الشاعرة هنا، في القدس، تعاني من ضغط الضغط الاجتماعي وقمع الاحتلال. ويقع المقطع الثاني في سبعة وأربعين سطر وفيه تتحدث الشاعرة عن علاقتها بالمدينة منذ كانت طفلة حزيننة تلوكها بشو شوارع غريبة وأعين غريبة وأضلع غريبة. والشاعرة تعود إلى المدينة بشو محموم ملتف بالقلق، شوق مشبوب للمآذن الحزينة، وحين تقرر الأبواب تقف المدينة. إن المدينة، في هذا المقطع، ذات صدر مرصع حنون، ولكنها مدينة الأقمار والأفيون والبخور والنعاس والطاعون والمحار والحيتان والجنون وه عذوبة السماء ذات جفون خضراء ودموع خضراء وقباب خضراء. وواضح الشاعرة تكتب عن تناقضات المدينة وما تحتويه بين أسواقها من بخور و محافيون، إنها صورة القدس في السبعينيات. ويتكون المقطع الثالث من سبعة وعشرين سطرأ شعرياً، وهو مقطع تعبر فيه عن تعبها وتحديقها في بوابات المدينة السبع لتعدّ الجند وتصرخ :

" يهوذا يا جميع الناس باع يسوع هذا

اليوم ثانيّة بدولارين" (ص ٣٥)

وتعبر الشاعرة في المقطع الرابع الذي يتشكل من تسعة وثلاثين سطر شعرياً عن الموت جنونا بعيون بلد. إن الموت أمام البوابات السبع يخلد صاحب أسوار القدس فردوس ملعون يسجن أشواق الشاعرة وجنونها، ولذلك تسبح الشاعرة زنديها عن الأسوار والأبواب والحيطان والشرفات والأجراس والحاراك ولكن :

لا جدوى

بعضك زندياي . (ص ٨٥)

والشاعر الرابع من أبناء القدس الذي تجدر الإشارة إلى مجموعاته الشعرية هو إبراهيم قرايين. لقد أصدر قرايين، حتى الآن، ثلاث مجموعات شعرية هي : " بين الحب والحرب" (١٩٧٦) و " بيارق فوق الحطام" (١٩٨٦) و " تعود أمواج البحار إلى البحار" (١٩٩٨). ويلاحظ أن ديوانيه الأولين لم يخصصا القدس بقصيدة ولم يذكر الشاعر القدس فيهما إلا ذكراً عابراً وذلك في قصيدة " مها ترة " (ص ٣٥)، وهي قصيدة يخاطب الشاعر فيها أمة العرب لأنها ضاعفت الأسى فينا :

وهذه القدس ... مذ زجت

في الأسر ما فتئت تبكي وتبكي

ويأتي في قصيدة أخرى هي " بطاقة عيد" (ص ٤٢ ، ٤٣) على ذكر الأقصى المبارك. ولعل اللافت للنظر هو أن الشاعر، في مجموعته الثانية، خص قريته سلوان بقصيدة، علماً بأنه يقضي جل نهاره في القدس. ويحق لنا أن نسأل : لماذا لم يكتب الشاعر ، في مجموعته الأولى والثانية ، أية قصيدة عن القدس؟؟ وبخاصة حين نقرأ ديوانه الثالث الذي خص فيه القدس بالعديد من القصائد فهناك قصائد تذكر فيها القدس في العنوان، وهي : " لعينيك يا قدس " و " بأرض القدس نبقي " و " لنا القدس " و " القدس كل عيوننا " و " على العهد يا قدس " و " القدس يا عرب " و " حديث القدس " و " فتهياي يا قدس ". وأشار إلى مكانة القدس وأهميتها في قصائد أخرى مثل " أكرمنا هم ... الشهداء " و " بنس الحضور ... دليله نفق " و " خطبة " و " يا عروبة " .

والقدس في أشعار قرايين هي أولى القبلتين. وهي القدس الشريف وهي عاصمة لنا وهي مدينة ساطعة تتميز عن غيرها، إنها زهرة المدائن.

وعلى الرغم من كثرة القصائد التي خص الشاعر بها المدينة إلا أنه لم يكتب قصيدة متميزة تتجاوز ما كتبه غيره من الشعراء الذين سبقوه، ولا يدري المرء حقاً إن كان هذا الإكثار من ذكر القدس يجعل من القصائد قصائد قدس.

ويخيل اليّ أن تركيز الفلسطينيين في الفترة الأخيرة على القدس قد ترك أثره على الشاعر، وكان يمكن لقراءين أن يكتب قصائد أفضل بكثير مما كتب، لولا وقوعه تحت تأثير الخطاب السياسي الذي أعاد صياغته شعراً.

ويخلص المرء وهو يقرأ قصائد أبناء القدس إلى أن أبناءها التفتوا، فم غالبيتهم، إلى التهويد الذي يلم بالمدينة، وخاطبوا يائسين، الحكام العرب على ينفذون المدينة من ضياعها، ولكنهم لم يقدموا قصيدة متميزة تليق بمكانة المدينة روحياً وتاريخياً وثقافياً أيضاً. ترى ما سبب ذلك؟ لقد عاش شعراء القدس في المدينة، ومروا بتجارب ولكنهم، للأسف، لم يطورا أداتهم الشعرية.

٣- شعراء أقاموا في المدينة أو مروا بها :

تجدر الإشارة في أثناء الكتابة عن القدس، إلى أولئك الشعراء الذين أقاموا في المدينة إقامة مؤقتة أو مروا بها وأنفقوا فيها بعض الوقت.

لقد كان راشد حسين ابن قرية مصمص من أوائل الشعراء الذين كتبوا شعراً في القدس. زار الشاعر قبل عام ١٩٥٨ القدس الغربية التي كانت خاضعة للاحتلال الإسرائيلي، بتصريح إسرائيلي كان يمنح للمواطنين العرب في دول إسرائيل، وأنفق في القدس بعض الوقت وخصها بقصيدة عنوانها " إلى أورشليم وأسمى المدينة مدينة الزيتون ومدينة الأحلام، وقد لفتت القصيدة نظر د.الخباص فوقف أمامها. إن للقدس زندا اخضر، وهي تزرع في قلب الشاعر عينين للحب في لحظيها اثار من قسوة الرومان، وهنا ثمة إشارة إلى ما فعله الرومان بالمدينة أيام (هادريان) الذي تغلب على اليهود وأسمى المدينة (إيلياء). ويرفع الشاعر المدينة إلى مرتبة الآلهة لتغدو مدينة اسطورية، فيسميها " ربة الزيتون "، التي حين زارها الشاعر أثمر زيتون حبه. ودور المدينة (بيوتها) من خيال العيد أحجارها مهج سبها الفاتنات الصيد، والذي ينغص على الشاعر أن زيارته محدودة بتصريح مؤقت :

يا اورشليم الحب لو لم ينته التصريح
لظلت فيك مجرداً لتضاعفي التجريح
بمغامر الزيتون

ولاحتسى من كأس حبك ثمرات الغيد (أ.ك: ص ٢٥٥)

ولقد زار المدينة بعد عام ٦٧ معظم شعراء الضفة والقطاع وكانت لهم عاصمة روحية، فالقدس كانت العاصمة الثقافية للمثقفين، وليس غريباً أن يخصصها عبد اللطيف عقل بالذكر مراراً، وسوف أدرس، فيما بعد إحدى قصائده، ولقد أقام فيها الشاعر علي الخليلي، بعد فترة من عودته إلى الضفة عام ١٩٧٧، وكان علي، وهو في المنفى، قد أصدر ديوان شعر عنوانه " نابلس تمضي إلى البحر " (١٩٧٩) ، ولما أقام في نابلس أصدر ديوانه " الضحك من رجوم الدمامة " (١٩٧٨)، وقد أتى فيه على ذكر المدينة التي تحتوي على الأزقة والأحياء الراقية، ولكنه لم يركز على القدس التي خصها، منذ أخذ يذهب إليها يومياً بحكم عمله في جريدة "الفجر"، بغير قصيدة، وأصبحت صلاته بالمدينة تتوطد حتى أنها أخذت تحتل مكانة الصدارة في شعره فيما يتعلق بالمدن الفلسطينية، وإذا كان اسم القدس ورد في أشعاره من قبل في بعض القصائد (انظر د. الخباص ص ٢٩٥) فإنه في دواوينه الأخيرة خص القدس بغير قصيدة، وهذا ما يبدو واضحاً في ديوانه " القرابين أخوتي " (١٩٩٦). لقد كتب قصيدة " من يوم الجمعة في القدس " وقصيدة " واقفاً على مزارها أنادي " ، والقدس في القصيدة الأخيرة مدينة محاصرة مثلها مثل الشاعر المحاصر، وهي مدينته ونهاية الإنشاد في نشيدته وبلاغة المطاف في شهادته. ويعبر الخليلي في قصيدتيه المذكورتين عن علاقة روحية بينه وبين المدينة، ويشير مراراً إلى محاصرة المدينة ويسأل الإنسان المتغير من موسكو إلى مقديشو لكي يشرح له ما لا يستطيع الخليلي فهمه، وهو في قصيدة " ليس غير الخريطة " يسأل :

كيف تغيرت القدس أيضاً

حتى دخلت في أورشليم

وخرجت من جسدي (القرابين، ص ٨٦)

جمعُ العِراءِ
وكلُ البِناءِ
وكلُ الأَباءِ

(ص ١٢٤)

وسأكتفي بالإشارة هذه إلى الشعراء الذين مروا بالقدس ممن لم يشر
الدارسون إلى قصائدهم لأدرس بالتفصيل خمس قصائد أرى أنها الأجدر بالدراسة.

١- محمود درويش : مدينة كل الجروح :

يعتبر محمود درويش من أبرز شعراء الأرض المحتلة الذين التفتوا، اثر
هزيمة ١٩٦٧، إلى مدينة القدس وأخواتها. فقد نظم قصيدة " تحت الشبائيك
العتيقة " وأهداها " إلى مدينة القدس وأخواتها ". ولم يكن للمدينة - أية مدينة - قبل
ذلك التاريخ، أي حضور بارز في أشعاره، وان وردت الكتابة عن مدينة عامة
نلاحظها في قصيدة " سونا " (أ. ك: ص ٤٦)، وهي مدينة تتقيأ سونا المومس سأمها
- أي سأم المدينة -، كما ورد في قصيدة " أغاني الأسير " (ص ٨٩) حديث عن
مدينة تمر أمام شبائيك حبه عرس طغاة ومرثاة أم حزينة، بينما أقمارنا - أولادنا -
خلف الستائر بقايا عفونة. وتكون المرأة في قصيدة " دعوة للتذكار " (ص ١٢٩)
مفتاح الشاعر إلى قلب المدينة.

وتبقى المدينة عموماً، في شعر الشاعر، عامة لا ملامح لها خاصة بها.
ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الشاعر الشاب كان، حتى عام ١٩٦٧، مشغولاً
بقضايا أكبر من قضية الريف والمدينة وأهم منها، وكان الصراع بين العرب
والسلطات الإسرائيلية أكبر من الصراع بين فقراء المدينة وأغنيائها، فهو الذي جاء
من قرية عزلاء منسية شوارعها بلا أسماء، كما قال في قصيدة " بطاقة هوية "
(ص ٧١) وفيها يتحدى الموظف الإسرائيلي الذي يسأل الشاعر عن هويته. ويبدو
الصراع صراعاً بين العربي والإسرائيلي، بين مغتصب الأرض وصاحبها. ولعل
عنوان ديوانه " عاشق من فلسطين " (١٩٦٦) يدل على هيامه بالوطن كله وانشغاله
بقضاياها، حتى إذا ما سقطت الضفة الغربية بأيدي الاحتلال وجدنا الشاعر يهدي
قصيدته إلى مدينة القدس وأخواتها.

وهناك شعراء آخرون زاروا القدس وكانوا يمرون بها غالباً، ومن
الشاعر عبد القادر العزة الذي كتب قصيدة " العوم ضد التيار " ونشرها في ديوانه
شموس الصباح " (١٩٨٩)، والقدس في قصيدته شمعة وأم الكون والتكوين، وفي
ذكر الشاعر أيضاً القدس في قصائد أخرى هي " حضن الأم " حيث ترك القد
تعبّر عن نفسها فإذا هي :

وأنا (يَبوس) أنا العروس وبنت من خط الحضارة
أنا بنت أول يعرَبِي شَاء ربي كنت داره
أنا أم كل المؤمنين وقد تلقيت البشارة
أنا ثاني الحرمين والنورين أنا أم الطهارة
أنا مريم العذراء هل ترضون لي فض البكارة
أنا لست (راحيل) ولا (استيرا) لا..... حتى وسارة
أنا بنت بنت محمد وأنا المسيرة والزيارة
(ص ٣٦)

والقدس قلعة الأحزان والتاريخ والنيروز وأخت بطليموس هندسة وقطعا
فوق السماء، ولا جنة إلا القدس حيث سيرفعاها الإله إلى السماء الخ.
ومن الشعراء الذين خصوا القدس بغير قصيدة ولم يشر إليهم د. الخيام
أو د. مواسي الشاعر التلحيمي جمال سلسع : لقد خص الشاعر في ديوانه " عندما
تتكلم الحجارة " (١٩٨٩) القدس بثلاث قصائد هي " لأجلك يا قدس " و " تلتحن
القدس ربوعاً " والقدس يغسلها الغضب "، والأولى، كما أرى أفضلها. والشاعر
الذي يشعر أنه غريب في دياره يخاطب القدس قائلاً :

لأجلك يا قدس أحيا
فأنت الحياة ... وأنت النشيد
ترقرق عينك يا قدس شمساً
تؤجج فينا دروب الاباء
ويلتف في دفء شمسك

ويبدو أن اختيار القدس أولاً وإلحاق بقية المدن فيها يعود إلى زيارتها في زيارة غيرها، لا لأنه رأى فيها مدينة مقدسة، فقد كان درويش يومها ماركسياً يرى فرقاً بين القدس وغيرها من المدن المختلفة، وكأن القدس لم تكن ذات مكانة خاصة مميزة. غير أن موقف الشاعر اختلف، على ما يبدو، ومن ينظر في الطبع الرابعة عشرة من أعماله الكاملة الصادرة عام ١٩٩٦ عن دار العودة، يلحظ الإهداء اقتصر على مدينة القدس وحدها، فقد حذف الشاعر كلمة "وأخواتها" ويبدو أن الحذف تم في طبعات أسبق، فهذه الطبعة صورة عن سابقة لها.

تعد قصيدة "تحت الشبائيك العتيقة"، إذن، ذات دلالة مهمة في أشعر الشاعر فيما يتعلق بموضوع المدينة. فلأول مرة تقريباً يحدد الشاعر اسم مدينة وتتكون القصيدة من سبعة مقاطع هي: الجرح القديم، أغنية حب على الصليب خارج الأسطورة، اعتذار، المستحيل، الورد والقاموس، وعود من العاصفة.

وعلياً ونحن ندرس هذه القصيدة أن نلتفت إلى زمنها التاريخي - أعني زمن نظمها -، كما علينا أن نلتفت إلى دلالة العنوان والإهداء، فالشبائيك العتيقة قد توجد في عكا وحيفا ونابلس، والذي يجعلها هنا تختص بالقدس الإهداء نفسه. لقد نظم الشاعر هذه القصيدة إثر حرب حزيران مباشرة، يوم زار القدس، واعتماداً على النص الموازي، نستطيع باطمئنان كامل، أن نقول إن المدينة التي يتغنى بها الشاعر هي القدس.

يقف أنا المتكلم تحت الشبائيك العتيقة أمام درج مهجور لا يعرف الشاعر خطوه، مثله مثل الشباك، فيما يهرب من يده دوري وأزهار حديقة. ويجتاز الشاعر سرداباً من النسيان والفلل والصوت النحاسي، وبيتاً مفتاحاً وشباكاً بأناس الحماس، وهو مصمم، عندما تتفجر الريح بجلده، أن يسمى كل شيء باسمه. هكذا يخاطب شبائيكه القديمة.

وتكون المدينة، في المقطع الثاني، مدينة كل الجروح، ويخاطبها الشاعر لكي تخمد يديه، ويطلب منها أن تبعث له غزلاً وأن تنفض الدخان عن رئتيه. إن حنين الشاعر إلى القدس اغتراب، ولقيها منفى، وهو حائر قلق يدق على كل باب وينادي ويسأل: كيف تصير النجوم تراباً؟ وواضح أن هذا إشارة إلى تدنيس بساطير جنود الاحتلال تراب المدينة.

والقدس هي حبيبة الشاعر وهي صليبه وبرج حمام، إنها المدينة التي لها أن تكون كما تشاء هي أن تكون، ويؤنسها الشاعر ويؤسرها حتى إذا ما ذوبته يداها ملأ الصحاري غماماً. إنها حبه كله ولحبه مذاق الزبيب، وطعم الدم على جبهته قمر لا يغيب، بل هي نار وقيثارة في فمه.

ويطلب الشاعر من القدس، حين يموت، ألا تدفنه وأن تجعل من ضريحه رموش الرياح ليزرع صوته في كل طين، ويشهر سيفها في كل ساح. وتصل العلاقة بينهما إلى مرحلة متقدمة حيث يبدو الشاعر المحب الولهان عاشق صليبه، ويواصل طلباته فيطلب من القدس أن تذوب بقلبه وألا ترحمه.

وتبدو سطوح المدينة، في المقطع الثالث، نائمة، ولكن الشاعر يصطاد من عليها خطوات الأهل والأحباب ويصطاد أيضاً نجومه القاتمة، وهذه إشارة إلى ما كان عليه سكان القدس عام ١٩٦٧، ويعجب الشاعر من قلبه الذي يحمل حارة وجبالاً كيف لا يسأم القلب حاله؟.

وتبدو القدس ذات عيون سود، وهي سيف الشاعر المذهب وثوبه المقصب. إن كفيها لا تلينان من الخضرة ومن القمح المذهب، وما زال على عيناها بساط الصحو بالوشم الحريري مكوكباً. وتبشر القدس بميلاد النهار، ويقرأ الشاعر في عينيها أسرار العواصف:

لم تشيخي ... لم تخوني ... لم تموتي

إنما غيرت ألوان المعاطف

عندما انهار الأحياء الكبار (أ.ب، ٩٦١)

إلا أن القدس ذات العيون السود تصبح ذات وجه مغفر.

يطلب الشاعر، في المقطع الرابع، من القدس أن تسامحه لأنه حلم بأشياء كثيرة هي: عرس الطفولة والعيون الواسعة وذات الجديلة والزيتونة التي لا تباع ببعض قروش وبأسوار تاريخ القدس المستحيلة، وكأن القدس أهم من هذه الأشياء كلها، وكان ينبغي عليه أن يضعها في المكان الأول.

ويقول الشاعر، في المقطع الخامس، إنه قد يموت اشتياً أو احترقاً أو شنقاً أو ذبحاً ولكنه لا يقول: "مضى حبنا وانقضى، حبنا لا يموت" (ص ١٧٢).

ويرى درويش، في المقطع السادس، أن لا بد للشاعر من أناشيد جديد
ولهذا يحمل مفتاح الأساطير وأثار العبيد ويجتاز سرداباً من النسيان والفن
والصيف القديم، ويرى التاريخ في هيئة شيخ يلعب النرد ويمتص النجوم. ويعر
الشاعر عن إصراره على رفض الموت.

ويعلن، في المقطع السابع، أن لا بد من أن يتباهى بجرح المدينة لأنه لود
برق في ليالينا الحزينة. إن جرح القدس يضيء للفلسطينيين، ليل هزيمة ٦٧ :

" وليكن لا بد لي أن أتباهى، بك، يا جرح المدينة

أنت يا لوحة برق في ليالينا الحزينة " (ص ٦٧١)

وقد أخذ موضوع المدينة، بشكل عام، يحتل، في أشعار الشاعر، مسداً
بارزة. لقد أشار في قصيدة " ريتا والبندقية " إلى مدينة كنست كل المغنبي
(ص ١٨٨)، وكتب في قصيدة : " القنيل رقم ٤٨ " عن عربي اضطر، بعد استشه
أخيه، إلى أن يبحث عن شغل بأسواق المدينة (ص ٢١٤)، وخص المدينة
بقصيدة " قاع المدينة " (ص ٢١٥)، وهي هنا مدينة الشاعر النبيلة، ولكنه، بس
الغرباء، يغرق في شوارعها القتيلة، ومع ذلك، وعلى الرغم من أن المدينة تصب
صليبيه، إلا أنها تظل مدينتنا الجميلة. ونستطيع هنا القول أن هذه المدينة قد تكو
حيفا وقد تكون عكا، والغرباء هم اليهود الذين جاءوا من بقاع العالم ليسكنوا ف
المدن العربية بعد أن طردوا سكانها منها، وحين يستشهد أبو علي بإياد يكت
درويش " عائد إلى يافا " (ص ٤٠١) وتكون يافا حقائب منسية في مطار.

وتبرز القدس، في أشعاره، من جديد. فيشير إليها في قصيدة " سرحان يشر
القهوة في الكافيتيريا " (١٩٧٢) (ص ٤٤٩)، وتكون القدس ناقة العرب الت
يمتطيها الحكام العرب كلما أرادوا أن يصلوا إلى الحكم، حيث يرفعون شع
تحريرها :

وما القدس والمدن الضائعة

سوى ناقة تمتطيها البدواة

إلى السلطة الجائعة

وما القدس والمدن الضائعة

سوى منبر للخطابة
ومستودع للكآبة
وما القدس إلا زجاجة خمر وصندوق تبغ
ولكنها وطني (ص ٤٥٧)

ولقد لفت هذا المقطع نظر د. الخصاص فوقف أمامه (ص ١١٢ وما
بعدها). ونلاحظ أن درويش هنا أيضاً لم يفصل بين القدس والمدن الأخرى،
ونلاحظ أيضاً أنه يربط بين المدينة والمرأة، فالقدس امرأة من حليب البلبيل، وهي
صورة اسطورية، وهي مدينة سرحان المدينة التي لاتنام، والمدينة التي لا تدوم
أسمائها، وهذه إشارة إلى أسماء القدس العديدة: ييوس، أورشليم، إيلياء القدس...،
وهي مدينة تغير سكانها : وهم الكنعانيون واليبوسيون والرومان واليهود والعرب،
وفيها النجوم حصى.

والصورة التي يرسمها درويش للقدس، هي فاتحة لقصائد أخرى كتبها
شعراء عرب رافضون، وهو ما سنلاحظه في الصفحات اللاحقة.
وقلما خص الشاعر، بعد هاتين القصيدتين، مدينة القدس بقصائد أخرى،
على الرغم من أنه كتب قصائد كثيرة عن المدن التي افتقدتها مثل حيفا، أو تلك التي
عاش فيها ثم افتقدتها مثل بيروت.

كتب الشاعر " المزمور الحادي والخمسون بعد المائة " (أ. ك. مجلد ١،
١٩٩٦، ط ١٤، ص ٢٨٧)، وعبر فيها عن علاقته بأورشليم وانتمائه إليها :

وانتمائي إلى خضرة الموت حق

وبكاء الشبابيك حق

صوت حريتي قادم من صليل السلاسل

وصليبي يقاتل ! (ص ٢٨٧)

وتعصر أورشليم كل أسمائها في دم الشاعر، وتتخذ شكل زيتونة دامية،
وهنا نتذكر راشد حسين الذي سمى أورشليم " مدينة الزيتون "، ولكن الزيتون لديه
ليس دامياً، وتصبح أورشليم للشاعر بابل جديدة.

٢- مظفر النواب : عروس العروبة المغتصبة :

يعد الشاعر العراقي مظفر النواب، وهو شاعر ماركسي ذو ميول قومية، من أبرز الشعراء العرب المعاصرين الرافضين. وقد لفت سطره الشعري الناص "القدس عروس عروبتكم" الأنظار إلى المدينة قدر ما لفت إليها الأنظار أغنية فيروز "زهرة المدائن" التي ألفها الأخوان رحباني.

ولم يفرد النواب قصيدة واحدة للقدس، كما فعل في قصيدة "كيف نبني السفينة في غياب المصاييح والقمر : قصيدة عن بيروت" (أ.ك، ص ٣٢٣)، ولكنه أشار إلى القدس في غير قصيدة. يمسح أبو مشهور - وهو مقاتل فلسطيني قاوم في مذابح الأردن ورفض أن ينسحب ثم مات في ظروف غامضة بعد ذلك - يمسح باب القدس بما فيه من الشوق لها (أ.ك، ص ٨)، ويجلس في القدس بين الناس الغرباء عنها (ص ٩). وقد أوضع أنا المتكلم في قصيدة "المسلخ الدولي : باب أبواب الأبجدية" - ولعله هنا مظفر نفسه - أوضع حب القدس وانتقلت منابرها بقلبه (ص ٨٩) ويلخص المخاطب في قصيدة "طلقة ثم الحدث" - ولعله المقاتل العربي - يلخص الموقف تلخيصاً فورياً : تحيا مصر، وهو يفهم البعد الفلسطيني والنيل :

"وفي غيبوبة كنت بها بلا شك في القدس

رآك الناس رؤى العين

أطعمت حمامات بلون العشق والفيروز في الأقصى

(أ.ك، ص ٤١٢)

ويريد عبد الله في قصيدة "عبد الله الإرهابي" أن يعيد للقدس لياليها، ويزهر في أولات المواسم في القدس صوت الحمام (ص ٤٣٦). وكما ذكرت، فلن القصيدة الأبرز في أشعار النواب هي : "وتريات ليلية".

يبرز مظفر في المطولة هذه مكانه القدس لدى الحكام العرب، لا في

لحظات صحوهم، بل في لحظات سكرهم في أوج الليل :

"فإذا أجن الليل

تطق الأكواب بأن القدس عروس عروبتنا" (ص ٨٧٤)

وخصّ درويش القدس بمقطع من قصيدة "مزامير" رسم فيها القدس إليها يتعري فوق خط داكن الخضرة وأشباه عصافير تهاجر وشيئاً يشبه البرقوق وفضاء واسعاً، وكتب الشاعر القدس على أنها عاصمة الأمل الكاذب، والثائر الهارب والكوكب الغارب، عاصمة اختلطت في أزقتها الكلمات الغريبة : الإنجليزية والعبرية والفرنسية ... ألخ، مدينة قام فيها جدار جديد لشوق جديد، ولم تقل الصخرة كلمة لتثبت العكس. (أ.ك. مجلد ١، ١٩٩٦، ط ١٤، ص ٣٩٩).

لقد كتب قصائد عن مدن محددة الاسم مثل دمشق وسمرقند، وأخرى عن مدن غير محددة الاسم، وهو ما يبدو في قصيدة "تأملات سريعة في مدينة قديمة وجميلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط". وليس هناك من شك في أن المرء يجد تفسيراً يطمئن إليه، ولقد تمكنت هذه المدن منه فخصّها ببعض شعره ولعل في ما كتبه عن بيروت ما يوضح أن العلاقة بين الإنسان والمكان تركت أثرها على شعر الشاعر. وكانت علاقة درويش ببيروت علاقة مميزة، ومن هنا خصها بوصف قلما نجد مثله في قصائده التي ذكر فيها المدن الأخرى. وقد ترك وصفه لها أثره على ما يبدو على بعض الشعراء، ولنلاحظ مثلاً المقطع الذي افتتح به قصيدته :

تفاحة للبحر، نرجسة الرخام

فراشة حجرية بيروت. شكل الروح في المرأة

وصف المرأة الأولى، ورائحة الغمام

بيروت من تعب ومن ذهب وأندلس وشام

فضة، زبد وصايا الأرض في ريش الحمام

وفاة سنبل، تشرد نجمة بيني وبين حبيبتي بيروت

لم أسمع دمي من قبل ينطق باسم عاشقة تنام على دمي وتنام

(أ.ك. مجلد ٢، ١٩٩٤، ط ١، ص ١٩٥)

ووصف بيروت بأنها ذهب، سنجده، يطلق، في قصيدة عبد اللطيف عقل

"القدس" على القدس، وقد نعت اليهود القدس بالذهب، وقد التفت درويش إلى هذا

في كتابه النثري "يوميات الحزن العادي".

والعروس هنا مغتصبة، ونجد الشاعر يسائل الحكام ليدينهم وليظهر عجزهم، ولا يكتفي بذلك. انه يشتمهم أيضاً. لقد ادخل الحكام العرب كل زناة الليل إلى حجرة القدس، ووقفوا يسترقون السمع وراء الأبواب لصرخات بكارتها، وسحبوا كل خناجرهم ليتنافخوا شرفاً وليصرخوا في القدس أن تسكت صونا للعرض :

فما أشرفكم

أولاد القحبة هل تسكت مغتصبة؟

إن الذي سيفعل هو القدس لا الحكام، فالمدينة التي اغتصبت أصبحت حاملاً وحبلً بالمستوطنات المحيطة، وسيكون رد فعلها على النحو التالي :

"ستشد ضفائرها وتقيء الحمل عليكم

ستقيء الحمل على عزتكم

ستقيء الحمل على أصوات إذاعتكم

ستقيء الحمل عليكم بيتاً بيتاً

انتم مغتصبي :

حملتم أسلحة تطلق للخلف

وثرثرتم ورقصتم كالدببة " (ص ٤٨٤/٤٨٥)

وهكذا لا تثور القدس على الاحتلال، وإنما تثور على الحكام العرب، فالمغتصبون الحقيقيون، كما تقول القصيدة، هم الحكام العرب لأنهم أطلقوا النار على شعوبهم لا على العدو الإسرائيلي، واخذوا يثرثرون ويرقصون كالدببة. هكذا تقول القدس.

٣- أمل دنقل : القدس عجوز تنتظر فتاها :

يعد الشاعر المصري أمل دنقل من أبرز شعراء الرفض في الأدب العربي الحديث، وهو شاعر ذو توجه قومي واضح. لم يغادر دنقل مصر إلا مرة واحدة زار، خلالها، لبنان. ولم يخل شعره من موضوع المدينة بشكل عام، والمدينة

المصرية بشكل خاص. لقد جاء الشاعر من الريف المصري إلى القاهرة ليقيم فيها، وعاش في السويس أيام تعرضت هذه للحصار وعرف المدينة جيداً، كما زار الإسكندرية وعشقها، وعبر أمل عن علاقته بهذه المدينة في غير قصيدة. ونجده في قصيدة "السويس" يقارن بين المدينة التي تقبع على خط النار والقاهرة فيقول :

" هل تأكل الحرائق

بيوتها البيضاء والحدائق

بينما تظل هذه "القاهرة" الكبيرة "آمنة قريرة ! ؟

تضيء فيها الواجهات في الحوانيت، وترقص النساء

على عظام الشهداء " (أ.ك ، ص ١٧٣).

وقد خص الشاعر القدس بقصيدة " سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس : بكائيات "، وتتشكل القصيدة من سبعة إصحاحات، يمزج فيها الشاعر بين الماضي والحاضر ، ويختلط التاريخ بالواقع، ويحيلنا الشاعر، من خلال العنوان إلى سرحان بشارة سرحان و عمر بن الخطاب الذي، خلافاً لسرحان، تسلم مفاتيح القدس. ويحيلنا الإصحاح الأول إلى قصة سيدنا يوسف وإخوته.

يعود اخوة يوسف فيما يتقلب هو، وهو الأجل، في الحب، وتكون القدس سيدنا يعقوب : عجوز تشم القميص، فيشتعل الرأس شيباً وتبيض أعينها بالبكلاء ولا تخلع الثوب حتى يجيء لها نبأ عن فتاها البعيد.

يعبر أنا المتكلم - الشاعر، في الإصحاح الثاني، عن العلاقة بينه وبين وجهه المتخفي خلف قناع النفط، ويرسم، في الإصحاح الثالث منظرًا جانبيًا لفيروز وبيوت الجنوب اللبناني، ويشير في الإصحاح الرابع إلى تفاؤله كحرف مات بأرض الخوف : حبّ وحرية، ويخصص الإصحاح الخامس لرسم منظر لعمان عام البكاء - عام ١٩٧٠، ويبين مضايقة حرس الملك حيث يفتش الحرس ثوب الخليفة - أي عمر بن الخطاب - أي الفدائي الفلسطيني - وهو يسير إلى ايلياء - أي القدس -، فيما يعلو وراء نوافذ "بسمان" - أي قصر الملك - عزف البيان.

ويتحدث الشاعر، في الإصحاح السادس، عن الفدائي الذي يستعد لتحرير الأرض المحتلة. هنا تتجسد القدس في جسد الفدائي، لتصبح يدها هي فوق الزناد :

" عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد

(ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد) (ص ٣٤٩)

وتنتهي القصيدة بالإصحاح السابع الذي يتكون من سطرين شعريين هما :

" ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر

ليغفر الرصاص يا كيسنجر !! " (ص ٣٤٩).

و(كيسنجر) هو وزير الخارجية الأمريكية صاحب مبدأ الخطوة خطوة في الحل السلمي.

وهكذا نرى القصيدة تشتمل على سرحان وعمر بن الخطاب وسيدنا يعقوب وتشير إلى ابنه يوسف، وعلى الحرس الملكي وقصر بسمان واخوة يوسف وكيسنجر. ويكون يوسف، فتى القدس البعيد، وعمر بن الخطاب رمزاً لسرحان، ويكون سرحان الفدائي. وتصبح القدس سيدنا يعقوب، فيم يتوحد الحرس الملكي وجنود الاحتلال حيث يمنع هؤلاء الفدائي من تحرير القدس ويحولون بينه وبين العودة إلى القدس المدينة الحزينة التي فقدت ابنها الذي أمسى بعيداً عنها.

٤ - عبد اللطيف عقل : حسناء ليست من طين وماء :

تناول موضوع المدينة في شعر عقل غير دارس، لقد نشرت مقالة طويلة في العدد السابع من مجلة الببائر (السنة ٢، أيلول ١٩٧٧) تحت عنوان تجربة المدينة في شعر عبد اللطيف عقل " ورأيت فيها أن علاقة الشاعر بالمدينة قاسية وصعبة، ولم يكن هناك ثمة حضور مميز للقدس.

وقد تشابهت تجربة عقل، وهو القادم من الريف، مع تجارب الشعراء العرب الذين وفدوا، من قراهم، إلى المدينة، فشعروا فيها بالغرابة والضيق.

وعلى الرغم من أن الدكتور الخباص قد أشار في (ص ٢٩٣) إلى قصائد عديدة ذكر فيها القدس، إلا أنه لم يقف أمام أية منها ليدرسها، وهذا يشير إلى أن الشاعر لم يكتب، حتى عام ١٩٨٤، قصيدة عن القدس تستحق أن تدرس. وذكر د. موسى أن " عبد اللطيف عقل مشحون بطاقة المعاناة الحالية، وهو لا يرى إلا صورة المحتل ورصاصه الطائش الآثم، وما القدس إلا خلاصة الوطن الجريح " (ص ١٣)، ولم يبرز موسى صورة القدس كما رسمها الشاعر. وقد أتى د. عبد اللطيف البرغوثي في دراسته التي نشرها في مجلة " الأسوار " (عدد ١٦، ١٩٩٧) على موضوع المدينة في شعر عقل، وأشار إلى حضور بيروت و بغداد ومدن عربية أخرى مهمة، كما أشار إلى حضور القدس ومدن فلسطينية أخرى دون أن يفصل ويعلل ويحلل، فقد اكتفى بإيراد مقاطع من هذه القصيدة أو تلك يذكر فيها اسم القدس.

ومن يعرف عبد اللطيف عقل جيداً يعرف مكانة القدس لديه ولدى مثقفي الأرض المحتلة عام ١٩٦٧. لقد غدت القدس عاصمتهم الثقافية، فهي مكان صدور الجرائد وهي الملتقى الثقافي الذي حج إليه الكتاب باستمرار. ويطالع من يقرأ قصيدة " الفاكس " التي وردت في ديوان " بيان العار والرجوع " (١٩٩٢) مكانة القدس في قلوب الرجال :

وللقدس ما شاء موقعها من قلوب الرجال

خيول القصائد فيها مفصلة من سنام الجمال

زهور مبعثرة في الشوارع قبل الخريف. هي القدس

نائمة في كآبتها مثل حنونة الريح

حبراً من الأزرق العدمي،

هشاشة روعي تفر من القلب، تسكن

سحر شقوق المداميك حتى رموش المعاني " (ص ١٠)

توحي القدس، إذن، للشاعر بكتابة قصائد مفصلة من سنام الجمال، والقصائد زهور مبعثرة في الشوارع، والقدس أيضاً نائمة في كآبتها حبراً من الأزرق العدمي، فيما تفر روح الشاعر الهشة من قلبه لتسكن سحر شقوق

المداميك. ولكن القدس هذه تضم بين جدران غرفها صديقه الذي يشي به، وهناك السلوك الشائن يجعل الفراشات تقلع عن حبها، والقدس من غير حب الفراشات تطوي حزنها على حزنها وتخاف المطر. وإذا كانت القدس مستودع أسرار الشاعر، فإن (الفاكسميلي) يفضح هذه الأسرار.

و يأتي عقل في ديوانه " بيان العار والرجوع " غير مرة على ذكر القدس. يذكرها في قصيدة " قلب للبحر الميت "، فهو يحن إلى عصير الروح في ذكر سور القدس، وهناك تناديه الأزقة في حوارها ترقص في دمه الشرفات (ص ١١٨)، ويذكرها أيضاً في قصيدة " الأم " التي تقف وجفرا مثل قامتها، وبينهما في قدته حكمة جده من صخرة طالت غيوم الله في وقت الجفاف ... فتى مقلاعه زنار، الناري :

" باب القدس قبلته، وحول المسجد الأقصى تباطأ حين طاف ".

وتعد قصيدة " القدس " التي لم ينشرها عقل في حياته القصيدة الأبرز في شعره حول المدينة. لقد كتبها عقل في أواخر أيامه، في ١٩٩٣/٦/٢٥، ونشرت في مجلة " الشعراء " في العدد الثالث شتاء ١٩٩٨، لأول مرة إلى جانب قصائد أخرى، منها قصيدة " الضفة والقطاع "، وفيها يهجو، بأسلوب خفي، الحكام العرب الذين لسنا نحن في نظرهم، ولو متنا جميعاً، غير غرة والقطاع.

ومن القصائد أيضاً قصيدة " الجليل أو الوطن "، وفيها يتغنى عقل بالمدن الفلسطينية التي تسحره، ويرى الشاعر أن الوطن :
وطن جميل كله

كالطعن جنب الخاصرة " (ص ١١٥)

وعلى الرغم من أن الوطن كله جميل، وإن المثلث يسحره سحر ياف الساحرة، إلا أنه يخص القدس بقصيدة.

تبدو القدس في قصيدة " القدس " جوهرة تملأ الدنيا ضياءً، وهي درب الأنبياء الذاهبين إلى السماء، وأولى القبلتين وثالث الحرمين. وليس بخاف إن عقل، في رسمه صورة القدس، يتكئ على الموروث الديني الإسلامي، ولكنه لا يكتفي بهذا، بل يضيف إليه صفاتاً أخرى. تكون القدس - ان رنم الحادي - لازمة الغناء، وهي المدينة المصطفاة من المدن الصفية لتكون عاصمة الصفاء، ويضيف الشاعر هامساً : لقد بوأها الشعب الفلسطيني مكانة متميزة، فلا الرجال بغيرها رجال، ولا النساء بلا ملاحتها نساء، وهي متميزة حتى :

لأكاد أقسم إن جسم القدس

من نور

وليست هذه الحسناء من طين وماء (ص ١١٦).

القدس حسناء لكنها لم تخلق كما خلق البشر من طين وماء. لقد خلقت من نور، وهكذا يسبغ عقل على المدينة، في نهاية القصيدة، مكانة افضل من تلك التي اسبغها عليها في بدايتها، فهي وان بدت في البداية من ذهب، فإنها في النهاية - نهاية القصيدة - من نور، وكأنها ملاك من ملائكة الله، بل إنها أكثر.

وأرى أن قصيدة " القدس " هي من القصائد التي تستحق، بجدارية، أن تدرج ضمن قصائد القدس. والسؤال الذي يثيره الدارس لأشعار عقل هو : لماذا أخذت القدس في أشعاره، تحتل مكانة متميزة ؟ ويتبعه سؤال آخر : لماذا كان موقفه من القدس والمدن الفلسطينية في شيخوخته مغايراً لموقفه من المدينة في دواوينه الأولى؟ ويبدو أن عقل الذي عانى، في بداية حياته، من تكيفه مع أبناء مدينة نابلس، لم يعان في القدس ما عاناه في شبابه!

٥- أحمد دحبور : لماذا وحدك القدس وغيرك مدن أو قرى؟

لم يكن للقدس في شعر احمد دحبور، حتى عودته إلى فلسطين عام ١٩٩٥، حضور بارز، وقد أشار د. الخباص في فهرسه، إلى أن الشاعر ذكر القدس في القصائد التالية : " مطالع مهدورة " (ص ٤٠٦ من أ. ك) ، و " ماذا تغني العاشقة ؟ " (ص ٥٠٧)، و " اجتراح معجزة يومية " (ص ٧٥٥) . ومن يتابع

مجموعتي الشاعر الصادرتين بعد ذلك، وهما " هكذا " (١٩٩٠) و " كسور عشوية " (١٩٩٢) يلحظ ندرة الإشارة إلى المدينة - أي القدس -.

لقد كتب احمد دحبور قصائد مجد فيها الثورة والمقاتلين، و تغنى أيضاً بفلسطين الغائبة الحاضرة، وكانت القدس في فترة اشتعال الثورة مدينة من مجموعة مدن، وكانت أنظار الشاعر تتجه نحو الوطن كله بعامه، ومدينة حيفا بخاصة، حيفا التي ولد فيها وقصت أمه عنها الكثير حتى أصبحت جنة الدنيا. وقد أورد الشاعر في مقدمة أعماله الكاملة حديث أمه عن حيفا. وليس غريباً إذن أن نجد، ونحن نقرأ أشعار الشاعر، أن الحضور المميز للمدينة هو حضور حيفا، وازداد هذا الحضور مع الأيام، حتى لنجد الشاعر يخصصها - أي حيفا - بأكثر من قصيدة. ولكن حيفا لم تكن المدينة الوحيدة التي يكتب عنها، فقد خص الشاعر، في مجموعة " هكذا " القاهرة بقصيدة " قصيدة لم يمكن تلافيتها "، وفيها عبّر عن علاقته بها - أي بالمدينة " التي زارها مراراً، وأقام فيها فترة من الوقت. كما كتب في " هكذا " عن مدينة روحه " سجل طموحي ".

يكتب احمد، اذن، عن مدن عرفها من خلال ذاكرة أمه أولاً وزارها فيما بعد، وعن مدن لم يزرها ولم تحدثه أمه عنها، وعن مدن زارها وعاش فيها. وهكذا ظل حضور القدس في شعره باهتاً إلى أن أقام في الوطن، اثر اتفاقيات (أوسلو)، وفي هذه الأثناء خصّ القدس بقصيدة " سؤال شخصي للقدس " وقد نشرها في ديوان " هنا هناك " (١٩٩٧).

ونستطيع القول، ونحن مطمئنون، أن الحضور الأكبر ظل لحيفا، حتى أن الشاعر صرّح مجموعته بالمقطع التالي لراشد خسين :

" فقالوا : أنت مجنون

ولن تشفى

أمامك جنة الدنيا

ولست ترى سوى حيفا " (هنا هناك) .

وقد وردت الكتابة عن حيفا، في المجموعة نفسها، في القصائد التالية " وردة للناصره " (ص ٨٠)، و " مسافر مقيم " (ص ٨٦) و " من يوصل الجبل ؟ " (ص ١٠٢) وقد أهدى هذه إلى روح الشاعر توفيق زيّاد. وتتكرر في قصيدة " سؤال شخصي للقدس " (١٤٠)، وقد كتبها الشاعر في ١٩٩٦/١٢/٣١، اللازمة التالية :

" ما الذي يجعل منك القدس ؟

وترد بالصيغ التالية :

" فلماذا وحدك القدس

وما دونك أسماء قرى ، أو مدن ؟ "

و " لهذا وحدك القدس ؟

وما دونك أسماء قرى أو مدن ؟ "

ما الذي يجعل منك القدس غيري ؟ "

ويدخل الشاعر في سحر الجواب. إن أسبوع القدس أيام وزيتونها زيتون وفي أرضها تراب كالتراب الذي يطأه الناس، ولكنها مدينة منكوبة يجري فيها السطر نحو أسطوره والآدمي البكر نحو معمرته، وهي مدينة يستيقظ فيها الحجر الطاعن عصفوراً، وفيها يصير الزمن تاريخاً. وهي أيضاً مدينة تبرق أسماؤها الحسنى على الأقواس، كما أنها تحظى بغير اسم : هي القدس وبيوس وأورشليم وإيلياء. وهذا يحيلنا إلى تاريخ المدينة، فالاسم (أورشليم) ينتسب إلى الإله (شالم) اله السلام لدى الكنعانيين، وهو اقدم الأسماء يليه الاسم (بيوس) نسبة إلى اليبوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وأما الاسم (إيلياء) فهو الاسم الذي أطلقه عليها الإمبراطور الروماني (هادريانوس) واسمه الأول (إيلياء)، وقد ورد اسم القدس في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف. فما الذي يجعل من القدس القدس ؟

إن الذي يجعل منها القدس أن العرس محمول على الجرح، فهي العروس المخطوفة، ولنلاحظ أن الشاعر ينعت القدس بالعروس، مثله مثل مظفر النواب،

ونلاحظ أيضاً أنه يشير إلى أنها مدينة جريح، مثله مثل محمود درويش، ونلاحظ أيضاً أن الشاعر يشير إلى أن أبناء القدس بعيدون عنها، مثله مثل ما أشار إليه أمل دنقل، ويذكر أحمد دحبور أنه اليتيم :

لكنني وحدي اليتيم

لم يزل جرحك عرساً وحماماً يهدل :

طال في الغربة ليل الخيل والأطفال ،

هل متسع، بعد، لأطفال الحمى أن ينزلوا ؟ "

(هنا هنالك، ص ١٤٤)

والقدس هي مهد الشاعر وصخرته وميلاد إسرائيل وأسفلت سماوي لطيره، ولهذا فهي حكم بالعذاب وهو المحكوم بالعودة. وهنا نلاحظ الإشارة إلى البعد الديني لمدينة القدس :

ما الذي يجعل منك القدس غيري ؟

أنت مهدي، صخرتي،

ميلاد إسرائي

واسفلت سماوي لطيري

ولهذا أنت حكم بالعذاب

وأنا المحكوم بالعودة " (ص ١٤٥)

والسؤال الذي يثيره الدارس هو : هل احتلت القدس، لدى الشاعر، بعد عودته إلى أرض الوطن، مكان حيفا؟ وهل أصبحت حيفا مدينة كأي مدينة لأن القدس أصبحت وحدها القدس ؟ ومن حق الدارس أن يسأل الشاعر عن السبب الذي جعله يبوء القدس هذه المكانة ؟ أيعود السبب إلى ما رآه الشاعر من مستوطنات حول القدس؟ أم أن ثمة نزوعاً روحياً ألم بالشاعر وأيقظ فيه حس الطفولة حيث نما وترعرع في بيت شيخ يغسل موتانا ؟ أم أن الأمر يعود إلى تركيز الفلسطينيين، في الوقت الحاضر، على المدينة أكثر من تركيزهم على

غيرها ؟ أم أن الأمر يعود إلى لحظة الانفعال والاكتشاف معا ؟ وليس هناك من شك في أن حيفا ستظل جنة الدنيا، وأن اكتشاف أحمد القدس لا يقلل من مكانة حيفا ، وإلا لما صدر ديوان " هنا ... هناك " بمقطع راشد حسين الوارد ذكره.

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم قراعين، وتعود أمواج البحار إلى البحار، (القدس، ١٩٩٨).
- ٢- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ط٢، (عمان، ١٩٩٢).
- ٣- أحمد دحبور، هنا....هناك، (عمان، ١٩٩٧).
- ٤- اسحق موسى الحسيني، خواطر العمر، (القدس، ١٩٩١).
- ٥- أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، (القاهرة، ١٩٩٥).
- ٦- جمال سلسع، ديوانان شعريان : عندما تتكلم الحجارة تكون ديمومة البقاء، د. ت. (مدريد، ١٩٩٠).
- ٧- جيوسي، سلمى الخضراء، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، (بيروت، ١٩٩٧).
- ٨- راشد حسين، الأعمال الشعرية الكاملة، (الطبعة، ١٩٩٠).
- ٩- عادل الاسطة، تجربة المدينة في شعر عبد اللطيف عقل، مجلة البيادر أيلول عدد ٢، ١٩٧٧.
- ١٠- عبد الله الخباص، القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن، (عمان، ١٩٩٥).
- ١١- عبد اللطيف البرغوثي، قراءة في دواوين عبد اللطيف عقل، الأسوار، عدد ١٧، ١٩٩٧.
- ١٢- عبد اللطيف عقل، بيان العار والرجوع، (القدس، ١٩٩٢).
- ١٣- عبد اللطيف عقل، قصائد تنشر لأول مرة، مجلة " الشعراء "، عدد ٣، (رام الله، شتاء ١٩٩٨).
- ١٤- عبد القادر العزة، شمس الصباح، (القدس، ١٩٨٩).
- ١٥- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر : قضايا وظواهره الفنية، دار الثقافة، د. ت، ط١، ١٩٦٦.
- ١٦- علي الخليلي، القرابين اخوتي، ط٢، (القدس، ١٩٩٧).
- ١٧- فاروق مواسي، القدس في الشعر الفلسطيني الحديث، (الناصر، ١٩٨٢).

- ١٨- فوزي البكري، صعلوك من القدس القديمة، (الناصر، ١٩٨٢).
- ١٩- ليلي علوش، أول الموال...آه، (القدس، ١٩٧٥).
- ٢٠- محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، مجلد ١، ط١٤، ومجلد ٢، ط١، (بيروت، ١٩٩٦).
- ٢١- مظفر النواب، الأعمال الشعرية الكاملة، (لندن، ١٩٩٦).

واقع الحرم الشريف في ظل الحروب الصليبية

د. حسام التميمي

إنّ المواجهة الصليبية الإسلامية التي حدثت في القرنين السادس والسابع الهجريين لم تكن مجرد صراع عسكري، وإنما كانت صداماً بين حضارتين، ولهذا فإن الآثار التي خلفتها هذه المواجهة تجلّت في جوانب الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. ومن غير شك أنّ الصليبيين كانوا حريصين أشد الحرص على اقتلاع معالم الحضارة العربية الإسلامية في فلسطين من جذورها، وعدم الإبقاء على أيّ مكان مقدس يخصّ المسلمين، وكانوا حريصين أيضاً على تغيير التراث المعماري العربي الإسلامي في بيت المقدس.

وكان هدف الصليبيين الأوّل من حملاتهم على المشرق الإسلامي السيطرة على بيت المقدس وإقامة مملكتهم فيه، فبعد أن استولوا على أنطاكية سنة ٤٩١ هـ قصدوا بيت المقدس، وكان وقتذاك تابعاً للفاطميين تحت إمرة افتخار الدولة. وحاصر الصليبيون المدينة نيفاً وأربعين يوماً^(١) بقيادة إقائدين تانكرد وريموند. وفي الثاني والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ اقتحم الصليبيون المدينة المقدسة وسيطروا عليها، وولّى المسلمون الأدبار نحو الحرم الشريف أملين أن يكونوا في مأمن من القتل والتعذيب والتشريد، ولكن تانكرد انقضّ عليهم بجيشه فأذعنوا له، ووعدوه أن يبذلوا له فدية كبيرة إذا نجوا من بطش ريموند وجيشه، وأخذوا علمه ورفعوه فوق المسجد، وأخذ تانكرد يعيثُ فساداً في قبة الصخرة يدمر وينهب ما يشاء^(٢).

وقد اعتصم افتخار الدولة وعائلته وحرسه ببرج داود، وبعد أن يئس من دحر الصليبيين عرض على ريموند أن يسمح له مغادرة المدينة ويدفع الفدية مقابل الإبقاء على حياته وحياة حرسه، وكان له ذلك، فخرج من المدينة المقدسة وانحاز إلى الحامية الإسلامية بعسقلان. وتؤكد معظم المصادر العربية والأجنبية أنّه لم ينج من مسلمي بيت المقدس غير هذه الفئة القليلة التي خرجت بصحبة افتخار الدولة حيث انطلق الصليبيون في شوارع المدينة وإلى المنازل والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز.

ولم يكن علّم تانكرد عاصماً لمن لجأ من المسلمين إلى المسجد الأقصى من القتل؛ إذ اقتحم الصليبيون المسجد وأجهزوا على جميع المسلمين المتواجدين فيه. وحينما توجه ريموند في ضحى ذلك اليوم لزيارة ساحة المسجد، أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه^(٣). ويؤكد ابن الأثير أنّ الصليبيين قد قتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً^(٤). ويذكر المؤرخ فوشية أن الصليبيين أخذوا يحرقون جثث القتلى من المسلمين على أمل أن يجدوا في رمادها الذهب الذي ظنوا أنهم خبأوه في أجسادهم^(٥). ولم يسلم يهود بيت المقدس من القتل والحرق حيث قام الصليبيون بحرقهم وهم في معابدهم بحجة أنّهم ساندوا المسلمين في القتال^(٦).

وقد صور الشاعر أبو المظفر الأبيوردي ما أصاب المسلمين في الشام عامة وفي بيت المقدس خاصة من قتل وذل وتشريد؛ إذ يقول مخاطباً مسلمي العراق :

وكيف تنام العين ملء جفونها
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلاًهم
تسومهم الروم الهوان وأنتم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمي
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة
على هفوات أيقظت كل نائم
ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
تواري حياءً حسنهما بالمعاصم
وسمر العوالي داميات اللهازم
تظلّ لها الولدان شيب القوادم^(٧)

تخريب الحرم الشريف :

وقد امتدت أيدي الصليبيين للعبث والتخريب في الحرم الشريف؛ فأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تتوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً من الفضة ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً^(٨). وسرق القائد الصليبي تانكرد ثمانية قناديل ضخمة من الفضة كانت معلقة داخل قبة الصخرة^(٩).

وغير الصليبيون كثيراً في معالم المسجد الأقصى، وقد سموه بهيكل سليمان أو البلاط، وأسكنوا في جانب منه فرسان الهيكل الذين أطلق عليهم العرب فرسان الداوية. ولم يكتفوا بهذا القسم فبنوا غربي المسجد أبنية ليسكنوها ويخزنوا بها أسلحتهم. وجعلوا في الجانب الآخر كنيسة لهم. وجعلوا من السرايب التي تقع تحت المسجد الأقصى اسطبلًا لخيولهم^(١٠)، ولا تزال إلى اليوم آثار مرابط الخيل وبقايا المعالف الحجرية محفورة في جدران تلك السرايب. ويذكر أبو شامة المقدسي أن الإفرنج جعلوا من المسجد الأقصى ولا سيما محرابه حظيرة لخنازيرهم^(١١).

وحول الصليبيون قبة الصخرة إلى كنيسة سموها المعبد المقدس، وقال بنيامين التطيلي يصفها عند زيارته لفلسطين وهي في ظل الاحتلال الصليبي " ... وعليه اليوم البناء الذي يسميه الإفرنج المعبد المقدس ... وليس يسمح لأحد أن يُدخل فيها (قبة الصخرة) تمثالاً لأنها محل خاص بالعبادة"^(١٢).

ويؤكد العماد الأصفهاني أن الإفرنج قد زينتوا قبة الصخرة بالصور والتماثيل والأيقونات، وجعلوا لموضع القدم (الصخرة) قبة صغيرة مذهبة محمولة على أعمدة رخامية، " قالوا : محل قدم المسيح وهو مقام التقديس والتسبيح"^(١٣) كما قلع الصليبيون الهلال الذي كان يعلو قبة الصخرة ووضعوا بدلاً عنه صليباً كبيراً من الذهب يشبه تلك الصليبان التي تعلو قباب الكنائس^(١٤).

ويؤكد المؤرخون أن القسيسين كانوا يقطعون قطعاً من الصخرة ويحملونها إلى أوروبا ليبيعوها هناك بوزنها ذهباً، وقد اتخذوا من ذلك تجارة لهم، ولذلك أمر ملوك الإفرنج بتغطية الصخرة بالألواح الرخامية حتى لا تتآكل بسبب

التكسیر والتفتيت المستمر^(١٥). وقد اتخذ فرسان الهيكل من قبة الصخرة مقراً لهم، وصار شكل القبة شعاراً لفرقتهم، ونقلوا طرازها إلى أوروبا حيث ظهرت كنائس مشابهة لها في التخطيط في لندن ولون ومتر ... وفي لوحة روفائيل الشهيرة (الزواج) المحفوظة في متحف برارة في ميلانو التي رسمت أمام كنيسة مثمنة الأضلاع تشبه في الشكل إلى حد كبير قبة الصخرة^(١٦).

وقد حول الصليبيون قبة السلسلة (قبة داود) الواقعة في الجزء الشرقي من جوار قبة الصخرة إلى كنيسة صغيرة أطلقوا عليها اسم (قدس الأقداس) أو كنيسة سانت جيمس دي ليس St. James the Less نسبة إلى القديس الذي عرف بهذا الاسم وقتل على أيدي اليهود في ذلك الموقع^(١٧).

وعندما تمكن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي فتح القدس سنة ٥٨٣هـ أعاد كل شيء على ما كان عليه قبل الاحتلال الصليبي، فهدم كل ما بناه الصليبيون داخل المسجد الأقصى وساحاته، وأمر بإحضار المنبر الذي صنع زمن نور الدين زنكي من حلب ووضع به جوار محراب المسجد الأقصى. كما أمر بإزالة الرسومات التي رسمت على جدران القبة وأمرهم بنزع الصليب الكبير المذهب ووضعوا بدلاً عنه هلالاً، وكسوا قبة الصخرة بأفضل أنواع الرخام وأجله.

الهوامش

- ١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨٣، (بيروت، ١٩٧٩) .
- ٢- المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٨٣-٢٨٤ .
- ستيفن رنسيمن : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني، ط ٣، ج ١، ص ٤٢٥، (القاهرة، ١٩٩٣) .
- ٣- انظر : - ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨٣-٢٨٤ .
- ابن كثير : البداية والنهاية، ط ٣، ج ١٢، ص ١٥٦، مكتبة المعارف (بيروت، ١٩٨١) .
- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٧، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، ١٩٠٨) .
- ستيفن رنسيمن : تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٤٢٣-٤٢٨ .
- ٤- الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨٣ .
- ٥- Fucher de Charters, Historia Hierosoly mitana ; A History of the expedition to Jerusalem 1095-1127 (translate by Francis Rita Ryan-with an introduction by H.S.Frink, Knoxville, 1961: PP 122-123. H.E Mayer, The Crusades, transl. By Gillingham, Oxford, 1972,p 61.
- ٦- ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٧ .
- ٧- د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، ص ٦٨، دار البشير (عمان، ١٩٨٩) .
- ٨- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨٤ .
- ٩- ستيفن رنسيمن : تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٤٠٨ .
- ١٠- ابن الأثير : - الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٥٥١ .
- ستيفن رنسيمن . تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٧٥٦ .
- Le Strange, Palestine under the Moslems P 113 .
- ١١- الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٩٦، دار الجيل (بيروت) .

- ١٢- بنيامين التطيلي الأندلسي : رحلة بنيامين، ص ١٠١، (بغداد، ١٩٤٥) .
- ١٣- العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق : محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، ص ١٤١ .
- ١٤- ابن الأثير : ج ١١، ص ٥٥١ .
- ١٥- العماد الأصفهاني : - الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ١٤٢ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٥٥٢ .
- ١٦- عبد الحميد زايد : القدس الخالدة، ص ٢٠٠، (القاهرة، ١٩٧٤) .
- ١٧- المرجع نفسه، ص ٢٠٢ .

من القرى المدمرة القسطل .. قضاء القدس

أ. عباس نمر

تلك القرية الهادئة الوادعة التي تقع على مقربة من المدينة المقدسة من جهة الغرب، وقد اختارت لها ذلك المرتفع العالي من جبال القدس الشريف وكأنها تتأى بنفسها عن المتاعب واللغو والجدل العقيم، كي تحتفظ بهدوئها ووداعتها، ولكنها في الوقت ذاته، تقف متأهبة راصدة لكل خطر قد يحدق بها من أسفلها أو من حواليتها.

إنها برج مراقبة لما قد يجري من أحداث تعنيها وتعني أخواتها من القرى والمدن الفلسطينية الأبية، ولا أدل على ذلك مما جاء في المعجم الوسيط "القسطل" أو القسطل : الغبار في الموقعة، وهكذا فقد كانت القسطل منيعة على المتربصين بها، وقد دارت فيها موقعة شرسة في الحرب العربية الإسرائيلية، انجلى غبارها من استشهاد عدد من أبطال فلسطين، كان من بينهم القائد الشهير عبد القادر الحسيني.

وقيل إن القسطل هو شجر من الفصيلة البلوطية له ثمر كثير النشاء يؤكل مشوياً، وقرية القسطل من القرى الغالية علينا.

التسمية :

تقول الرواية الشفوية : إننا ورثنا هذا الاسم عن الآباء والأجداد وتلفظ "القسطل" بفتح القاف وتسكين السين.

وجاء في موسوعة بلادنا فلسطين للمرحوم مصطفى الدباغ (صفحة ٤٢) من الجزء الثاني أن القسطل كان يطلق عليها في العهد الروماني "كستيليوم" وهي من أعمال مقاطعة فلسطين الأولى التي تشمل ديار نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح وعاصمتها قيسارية.

وكانت منطقة القدس في هذا العهد تضم البلاد الواقعة بين السواوية في الشمال إلى سعين في الجنوب، ومن البحر الميت في الشرق إلى بيت لقسا وبلعين في الغرب، وكانت القسطل إحدى قرى القدس، مشهورة بقلعتها أو حصنها الكبير الذي بني في ذلك العهد، ومع مرور الزمن تهدمت القلعة وبقيت آثارها حتى قدوم الفرنجة إلى فلسطين، وقد أعيد بناء القلعة وأطلق عليها اسم "بلفير يوم" والقرية عرفت في تلك الفترة باسم "بيلور".

وفي أيلول من عام ١١٩١م أمر الناصر صلاح الدين الأيوبي بهدم القلعة والقلاع المجاورة لها حتى لا تقع ثانية بأيدي الفرنجة؛ وذلك لموقعها الاستراتيجي وتحكمها بالمواصلات.

الموقع :

القسطل قرية صغيرة على بعد ثمانية كيلو مترات إلى الغرب من القدس الشريف، وقد أقيمت أبنية القرية على أعلى جبل فيها ويطلق عليه اسم جبل القسطل، وكانت القرية تعطي قمة هذا الجبل الشاهق الذي يطل على مساحات شاسعة من الجهات الأربع، حيث قالت الراوية الشفوية إننا نشاهد من الشرق القدس الشريف، ومن الشمال منطقة رام الله، ومن الغرب في الأيام الصافية نشاهد البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب نشاهد منطقة بيت جالا.

وكانت القرية تشرف على طريق يافا-القدس الذي تربطها به طريق فرعية طولها ٧٥٠ متراً وموقعها هذا زادها أهمية على أهميتها.

المساحة والحدود :

تبلغ مساحة أراضي القسطل حسب ما جاء في كتب الدباغ والموسوعة الفلسطينية ووثائق الانتداب البريطاني مع الرواية الشفوية لـهـل القسطل " ١٤٤٦ دونماً منها (١٧) دونماً " للطرق والوديان.

ويحد أراضي القسطل من الشمال قرية بيت نقوبا، ومن الشمال والشمال الشرقي قرية قالونيا، ومن الشرق عين كارم، ومن الجنوب قرى عين كارم وصطاف وصوبا.

عدد السكان والحمائل :

بلغ عدد سكان القسطل عام ١٩٢٢م ٤٣ نسمة وفي عام ١٩٣١م بلغوا ٥٩ نسمة كانوا يقيمون في ١٤ بيتاً، منهم ٣٢ من ذكور و ٢٧ من إناث بينهم مسيحيان ومسيحياتان من الأرمن.

وفي عام ١٩٤٥م قدروا بـ ٩٠ نسمة وفي عام النكبة ١٩٤٨م قالت الرواية الشفوية أنهم بلغوا ١٢٠ نسمة مقسمين إلى ثلاث حمائل هي : عدوان ومطر ومطير، وكان أهالي القسطل من طبقة واحدة ذات مستوى واحد وكانوا يبدأ واحدة متعاونين في الأفراح والأتراح بهمة العقلاء من كبار السن فيها.

المختار :

كانت وظيفة المختار موجودة في القسطل منذ العهد التركي وكان الشيخ محمد مطير مختاراً في ذلك العهد، وبقي مدة من الزمن في عهد الانتداب البريطاني، وبعد وفاته استلم مهام المخترة ابنه جميل محمد مطير، وبعده جاء الحاج مطر ياسين واستمر في عمله حتى النكبة ١٩٤٨م.

الساحة " المضافة " :

الساحة في القسطل مقرها المسجد وتقول الرواية الشفوية : الغريب أو القريب يسارعون في إكرام الضيف واحترامه وتقديم كل ما في وسعهم لتوفير الراحة له وهذه الساحة ملتقى الجميع من أبناء القسطل.

المسجد :

مسجد القسطل عبارة عن مقام يطلق عليه اسم الشيخ أحمد الكركي وكانت تقام فيه الصلوات الخمس بالإضافة إلى صلاة الجمعة والعيدین وتبلغ مساحة المكان المخصص للصلاة حوالي ستين متراً مربعاً عدا الساحة الخارجية والتي هي مضافة البلد وكان خطيب الجمعة الحاج ياسين مطر وأحياناً الشيخ أبو يوسف الخطيب من قالونيا الذي يخطب الجمعة أحياناً بالإضافة إلى أنه خطيب يومي عيد الفطر المبارك والأضحى.

الآثار :

أهم آثار القرية هي القلعة التي أخذت القسطل اسمها منها وهي قلعة رومانية بالإضافة إلى وجود بعض المغر المنقورة في الصخر، وتقول الرواية الشفوية : إن الآثار الرومانية كانت كثيرة أهمها البلد الذي كان في الماضي معاصر للعنب، ويوجد في القرية مقام اسمه الشيخ صالح وبجانبه آثار.

الحياة الاقتصادية :

كانت الزراعة تعتبر العامل الرئيسي الوحيد في بناء اقتصاد القرية باعتبار أن الأرض وفلاحتها شريان الحياة ومورد الرزق الأساسي، ولذلك كان أهالي القسطل يعملون في الزراعة وخصوصاً الزراعة البعلية، وذلك لندرة العيون في القرية، وتقول الرواية الشفوية : إنه رغم صغر مساحة أراضي القرية إلا أنها موسومة بالبركة، وكل أسر القسطل كانت تملك أرضاً اتسعت أو ضاقت، وكان اهتمام أهالي البلد في الدورة الشتوية بالقمح والشعير والعدس والحمص والبصل والثوم والفل، أما زراعة المقايي فكانت فقط مونة للبيت.

أما زراعة الأشجار فهي كثيرة وكانت تفي حاجتها مثل : الخوخ واللوز والعنب والتين والتوت والصبر، وبخصوص شجرة الزيتون المباركة في القسطل لها أهميتها والاهتمام بها هو عمل ابن القرية الدائم، وكثير من أشجار الزيتون هي من زراعة الآباء والأجداد، ويطلق عليه اسم روماني.

الثروة الحيوانية :

كان الاهتمام بالثروة الحيوانية قليلاً، ومع ذلك لم يكن بيت فيها يخلو من رؤوس الغنم أو البقر، وذلك للاستفادة من حليبها ولحومها، أما البغال والحمير فكانت تستعمل كوسائل نقل وللحراثة، وكل بيت في القسطل يربى فيه الدجاج والحمام.

العيد ورمضان :

كم كانت هي جميلة أيام رمضان والأعياد في القسطل، بهذه الكلمات بدأ كبار السن من أهالي القسطل روايتهم الشفوية وقالوا :

كان أهالي القسطل يستعدون لرمضان عند ثبوت الهلال في القدس الشريف، وكان الشيخ على عدوان هو المبشر بقدوم شهر الخير والبركات، وكان المسجد يمثل خصوصاً عند صلاة العشاء مع التراويح، وصلاة الفجر، وصلاة الجمعة كانت في المسجد الأقصى.

أما العيد فكانت له بهجة، وهو رمز الصلح والفرح بين أهالي القسطل وأهم ما يميزه هو زيارة الأرحام، ويتم ذلك بعد صلاة العيد مباشرة، وتنشط حركة أهالي القرية ولا سيما معايدة قريباتهم من النساء وبخاصة الأرحام خارج القرية يحملون لهن الهدايا، وفي عيد الأضحى تكون الهدية عبارة عن لحم من الأضحية، وعادة تكون إما يداً أو فخدة الأضحية وأيضاً ينقدونهن نقوداً.

الأفراح :

إن أيام الفرحة كانت في القسطل هي أمنية الجميع دون استثناء، ثم قالوا في روايتهم الشفوية : إن عاداتنا وأعرافنا الاجتماعية بالنسبة للزواج هي نفسها في القرى المجاورة أمثال قالونيا وصوبا وعين كارم ولفتا وقطنة وتتشابه هذه العادات في أغلب مراحلها بدءاً باختيار العروس حتى دخولها بيت الزوجية، ونحن أهالي القسطل كنا أسرة واحدة، والعريس ابن الجميع، وكانت تعم الفرحة وتقام السهرات منذ قراءة الفاتحة، وأحياناً تستمر السهرات في ليالي الأفراح إلى شهر خصوصاً في أيام الصيف وبمشاركة القرى المجاورة.

الأزياء الشعبية :

إن القسطل هي من قرى القدس الغربية وهذه القرى متشابهة في زيها الشعبي تقريباً بالرغم من أن لكل قرية زيها مع اختلاف بسيط.

وكان اللباس التقليدي لأبناء القرية من الرجال هو القمباز " الدماية " ولم يعرف الرجال لباس البنطلون والقميص إلا بعد الهجرة والقمباز المشهور في القرية هو الروزا ذات اللون السكري، وقمباز الروزا المخطط بأقلام زرقاء وغيرها من الألوان، وبعضها يصنع من الصوف، وهذا لباس الشتاء ويلبس فوق الكمباز " القمباز " الجاكيت أو العباءة في تكملة للزي الشعبي، وغطاء الرأس والحطة والعقال، ومشد الشملة أو حزام من جلد.

وزي النساء هو الثوب الفلاحي الذي يمتاز بالاحتشام والهيبة والجمال وذلك من خلال تفصيله، ومشد الوسط فوق الثوب الشملة المصنوعة غالباً من قماش الغباني بألوانه المختلفة.

أما غطاء الرأس فكان لغالبية النساء بخاصة بعد الزواج، الوقاة وفوقها الخرقة البيضاء.

وكان الأطفال الذكور يلبسون الثوب والإناث الصغيرات يلبسن الفساتين المزركشة الطويلة.

كان للحياة طعم :

ترجع بي الذاكرة إلى بداية السبعينيات حيث تعرفت إلى الأخوين رحمهما الله الحاج أبي خالد مطير وأخيه الحاج أبي محمد مطير وهما من القسطل، وكان عملهما في القسم الفني لهواتف الضفة الغربية، وكنا ننظر إليهما بالطيبة والشعور بالأسس والدفع الاجتماعي، وكان هذان الأخوان يرددان كلمة :

" في أيام لبلاد كان للحياة طعم " فمن أقوالهما : إنا القساطلة " يعني أبناء القسطل "، رغم الفقر مفيش جوع. والحياة كانت مستورة والله مبارك فيها، والفرح في القسطل فرح الجميع، والموت كذلك، والواحد في أرضه وماله شو ما الأرض بتزرعها بتنتج وبتقول الحمد لله، وكانت كلمتنا واحدة.

القسطل والانتداب :

من كل ما تقدم من حديث حول القسطل وتسميتها وموقعها وعدد سكانها وحمائلها الثلاث، عدوان ومطر ومطير، والمساحة والحدود والحياة الاقتصادية مع الحياة الاجتماعية سابقاً، نأتي للحديث عن معركة القسطل لنقف على حقائق الرواية الشفوية، ودور أبناء القسطل في الدفاع عن قريتهم، وقد ارتأينا أن ننقل رواية المؤرخ المرحوم عارف العارف من خلال الموسوعة الفلسطينية في وصفها للمعركة الشرسة التي انجلى غبارها عن استشهاد عدد من أبناء فلسطين، كان من بينهم القائد عبد القادر الحسيني :

عرف عن القساطلة " أهالي القسطل " حماستهم ومشاركتهم وتفاعلهم مع قضيتهم منذ قدوم الانتداب البريطاني على فلسطين، وبدأت مشاركتهم كغيرهم من القرى المجاورة في الثورات والأحداث خصوصاً ما كان يجري في القدس ضد المستعمر البريطاني، وفي عام ١٩٣٦م شارك أهالي القسطل في الإضراب، وقال الحاج أحمد سعيد مطير في روايته الشفوية : إن القساطلة وقفوا مع عبد القادر الحسيني في المواجهات ضد جيش الإنجليز، وكنا نشارك القرى المجاورة في المواجهات على طول الشارع العام من القدس إلى باب الواد.

والسيد أيوب علي عدوان " أبو علي " من أبناء القسطل قال : أننا من مواليد عام ١٩٣٧م لكن مخالطتي كبار السن من أبناء القرية عرفت منهم الكثير ومما قالوا عن إضراب ١٩٣٦م أن أهالي القسطل شاركوا أهالي فلسطين واعتقل عدد منهم.

القسطل ومعاركها :

كانت القسطل على قمة تل مرتفع يطل إطلالة واضحة على الجهات الأربع من حوله. وعندما جاء قرار التقسيم الذي أشعل نار الحرب بين الفلسطينيين واليهود، شعر أهالي القسطل أن قريتهم هي من المواقع العسكرية الاستراتيجية في الدفاع عن المنطقة، وأصبحت فعلاً من المواقع الخطرة في مقارعة قوات الانتداب واليهود. وأحياناً كان ينطلق الثوار لضرب القوافل على الطريق العام الواصل بين يافا والقدس من جبال القسطل، وهنا تنبه اليهود إلى أن تأمين مواصلاتهم بين يافا

والقدس لا يتم إلا عبر استيلائهم على المواقع والقمم المطلّة على طول تلك الطريق، ومنها القسطل، وعندها قام القساطلة رغم قلة عددهم بتجهيز قريتهم بالسلاح لحمايتها، ويشهد التاريخ أن أهالي القسطل كانوا من النشطاء في الحصول على السلاح. وكانوا أحياناً كل اثنين منهم يشاركان في شراء قطعة سلاح وذخيرتها، ولم تبخل نساء القسطل في بيع مصاغهن من الذهب أو الفضة من أجل ذلك.

الهجوم الأول على القسطل :

تقول الرواية الشفوية : إن القسطل خاضت أكثر من معركة قبل سقوطها. وكانت المعركة الأولى في نهاية شهر آذار حيث وصلت إلى حدود القرية من الجهة الجنوبية الغربية قوات من اليهود بعد منتصف الليل وهي مزودة بالسلاح، وكان همها الاستيلاء على أعلى قمة في القرية واسمها " رأس المحورة " بكسر الميم وكُشف أمر هذه القوات، وجرّت معركة انسحب اليهود بعدها من حيث أتوا، وكان هذه المعركة استكشافية، وانتهت المعركة قبل الفجر.

المعركة الثانية :

فرح أهالي القرية لصعد الهجوم الأول عن القسطل، وقالوا أن هجومهم هذا هو استكشاف وعلينا الحيلة والحذر، وعمل الاستحكامات للجولة القادمة. وقرروا إخراج النساء والأطفال والشيوخ إلى القرى المجاورة مثل قرى بيت سوريك وصوبا.

ثم حدث الهجوم الثاني واستنفر أهالي القسطل جميعاً مؤكدين أن هذا الهجوم أكبر وأقوى على القرية في هذه الليلة من الهجوم الأول، وفعلاً وفي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل شاهد حراس القرية أبناء القسطل قدوم اليهود أيضاً من الجهة الجنوبية، وكان الجميع ينتظرونهم بمعنويات عالية والرجال مجندين للدفاع، واشتبك الطرفان.

وتقدم اليهود حتى وصلوا بيوت القرية، وبصمود أهالي القسطل انسحب اليهود مرة أخرى من حيث أتوا، وفي طريق انسحابهم نسفوا المسجد فدمرت

إحدى واجهاته وكانت هذه الليلة صعبة على أهالي القسطل، وانتهت المعركة مع شروق الشمس.

المعركة الثالثة :

وصلت إلى قيادة القسطل من قيادة الجهاد المقدس رسالة تفيد أن اليهود يحاولون بكل جهدهم احتلال القسطل، وذلك من أجل سلامة وصول الإمدادات إلى القدس. فقام أهالي القسطل بتجهيز أنفسهم لتأدية واجبه المقدس.

وقبل فجر الثالث من نيسان عام ١٩٤٨م قامت قوة كبيرة بمهاجمة القرية من عدة جهات، واحتلت بعض المواقع، ووصلت لها إمدادات، واستمرت المعركة والمدافعون مستمرون في الدفاع عن قريتهم، فازدادت زخات رصاص الرشاشات من مواقع مختلفة، وضربت القرية بالدافع وأمام هذه القوة انسحب المدافعون وبعد أن تأكد اليهود من أن القسطل خالية من المدافعين عنها احتلوها.

وجاء في كتاب " النكبة والفردوس المفقود " للمرحوم عارف العارف صفحة ١٥٦ أن القسطل احتلها رجال البالماخ. وكانوا يستهدفون السيطرة على طريق تل أبيب-القدس. ليتمكنوا من تموين اليهود في القدس، والقسطل لم يكن فيها سوى المناضلين من أبنائها، ومع ذلك فقد دافعوا عنها دفاع الأبطال، ولا صحة للأبناء التي أذيعت يومئذ بأن فيها جماعة من السوريين والعراقيين.

ردود الفعل ... لسقوط القسطل :

هزت حادثة سقوط القسطل أبناء فلسطين هزاً عنيفاً لأنها أول قرية عربية يحتلها اليهود. فجاء الثوار من القدس والمالحة ودير ياسين وعين كارم ولفتا وصوبا وقالونيا وبيت سوريك وقطنة وبني زيد من رام الله وترمسعيا والمزرعة الشرقية والبيرة وأبو ديس وسلوان إلى القسطل من أجل استرجاعها، وكان عدد القادمين يزداد يوماً بعد يوم.

والمؤرخ المرحوم عارف العارف أجاد وكتب عن سقوط القسطل بالتفصيل، لكنني أحببت أن أنقل للقارئ الكريم أحداث معركة القسطل حسب رواية الموسوعة الفلسطينية التي أخذت كل المعلومات عن عارف العارف.

كامل عريقات بقود المعركة :

وتولت قيادة جيش الجهاد المقدس، الإعداد لهجوم مضاد سريع، فحشدت القوات من مختلف القطاعات في منطقة القدس، وتقدمت هذه القوات بقيادة كامل عريقات عبر بيت صافا إلى أن وصلت إلى عين كارم. وانضم إليها شبابه بقيادة خليل منون، كما انضم عدد من شباب القرى المجاورة المسلحين، وتابع الجميع التقدم أثناء الليل باتجاه القسطل، ووصلوا إلى موقع يبعد عنها نحو كيلو مترين مع الإشراف الأولى لصباح يوم الرابع من نيسان. وتم حشد قوة من المجاهدين المتمرسين حول حاجز، الياشار، التي تبعد عن القسطل حوالي كيلو مترين، وكان اليهود قد اتخذوا منها مراكز أمامية، وقد بدأ المجاهدون يقتحمونها فجر الرابع من نيسان، فاحتلوها ثم تقدمت قواتهم بقيادة كامل عريقات تحت وابل من نيران العدو الشديدة، وقاوم اليهود الهجوم العربي بشدة، ودام الاشتباك بين المجاهدين ومراكز اليهود الأمامية المحصنة إلى أن حل الظلام، فاضطر اليهود إلى إخلاء عدد من هذه المراكز أمام ضغط المجاهدين والتراجع نحو القرية، وغدا المهاجمون العرب يحيطون بالقسطل ويحاصرون اليهود فيها ويتبادلون معهم نيراناً متقطعة طوال الليل.

استمرار وصول النجدة :

استمر وصول النجدة العربية إلى جبهة القسطل طوال يوم ٥ نيسان، فوصل عبد الله العمري على رأس قوة من أبناء بيت صافا والقرى المجاورة، ووصل الشيخ هارون بن جازي مع قوة من عشيرة الحويطات. واشتد ساعد المقاتلين العرب بوصول هؤلاء، وأجروا توزيعهم على المواقع المختلفة بسرعة.

محاولة الهجوم على القسطل :

شن المجاهدون هجومهم العام على القرية، فانطلقت مجموعات منهم بقيادة الحاج محمود درويش، وصبحي أبو جبارة إلى الجهة الشمالية منها حيث مواقع اليهود الخلفية، ودار قتال عنيف حتى ساعات الليل الأخيرة، وتمكن المجاهدون بعد مقاومة عنيفة من دفع اليهود إلى داخل القرية، وأصبحوا على بعد نحو ٢٠٠م من

وسطها، وقد استمر اليهود في إطلاق النار من بعض مواقعهم طوال الليل، ولكن العرب لم يردوا عليهم رغبة منهم في توفير الذخيرة، وقضى المجاهدون ليلتهم في حالة تيقظ قصوى.

حصار القسطل :

شدد المجاهدون طوق الحصار الذي بدأ مع بداية ليلة السادس من نيسان، وواصلوا الإطباق على القرية بمعنويات عالية رغم نيران مدفعية اليهود الشديدة، وفي الساعة ٢,٣٠ من صباح ٦ نيسان أصيب القائد كامل عريقات بجراح، فاضطربت صفوف المجاهدين في حين اشتدت غزارة نيران الأعداء، واستماتوا للاحتفاظ بالقسطل بأي ثمن، وأخذت ذخيرة المجاهدين في هذه الأثناء تقل شيئاً فشيئاً.

حمل إبراهيم أبو دية، كامل عريقات على ظهره إلى قرية صوبا بعيداً عن ميدان المعركة. ثم عاد إلى الساحة فجمع شمل المجاهدين، وأنهى الفوضى التي بدأت تدب في صفوفهم، وبث في نفوسهم الحماسة، وحثهم على متابعة القتال، وقادهم في هجوم جديد على القرية يعاونه عبد الحليم الجيلاني.

ووصلت في صباح ٦ نيسان نجدة قوية من المجاهدين أرسلها بهجت أبو غربية من القدس الذي كان يتولى قيادة حاميتها، فاشتد ساعد العرب، وثبتوا في مواقعهم المحيطة بالقرية من نواحيها الشرقية والشمالية والجنوبية، على الرغم من الهجوم المضاد الذي شنه اليهود واستخدموا المدفعية والطائرات، واستمر ساعات طويلة.

وصلت النجدة إلى اليهود الذين وسعوا نطاق عملياتهم إلى بعض القرى العربية المجاورة ليحولوا بين أهلها ونجدة إخوانهم في القسطل، واستطاعوا إحباط محاولات المجاهدين لاقتحام القرية ومال الموقف إلى صالحهم، ولكن المجاهدين الذين كانت قلة الذخيرة تفت في عضدهم صمدوا، واستطاع إبراهيم أبو دية مع عدد من الرجال اختراق أحد مواقع العدو، ونسف بعض البيوت التي تحصن أفرادها فيها والعودة بسلام.

وصول عبد القادر الحسيني إلى القسطل :

وصل عبد القادر الحسيني من دمشق إلى القدس صباح يوم ٢٧ نيسان، وتوجه بعد ظهر اليوم نفسه إلى القسطل، فتولى أمور القتال، وأمسك بزمام الموقف، وأعاد تنظيم قوات المجاهدين المرابطة هناك على النحو التالي :

- على الميمنة في الجهة الشرقية من القسطل - مجموعة من المقاتلين بقيادة حافظ بركات.

- على الميسرة في الجهة الغربية من القسطل - مقاتلو البدو بقيادة الشيخ هارون بن جازي.

- في القلب من الجهة الجنوبية من القسطل - فصيلتان بقيادة إبراهيم أبو دية.

- في موقع القيادة - كل من : عبد القادر الحسيني، وعبد الله العمري، وعلي الموسوس.

رابطت مجموعة صغيرة من رجال جيش الجهاد المقدس بقيادة صبحي أبو جبارة في الجهة المقابلة، ورابطت مجموعة أخرى من متطوعي القدس ورام الله بقيادة الشيخ عبد الفتاح المزراعي في قالونيا، لتسند بنيرانها قوات المجاهدين في هجومها على القسطل.

بدأ الهجوم العربي على القسطل وفق هذا الترتيب في الساعة ٢٣,٠٠ من يوم ٧/٤/١٩٤٨، وقد تمكنت قوات اليهود واستحكاماتها الأمامية، واتصلت قوات الفريقين وكادت تدخل القرية، ولكن تقدم القوات من الناحية الشرقية كان صعباً، إذ نفذت ذخيرة كثير من المجاهدين، وأصيب إبراهيم أبو دية مع ١٦ من رجاله بجراح مختلفة فأخذ المجاهدون يتراجعون أمام كثافة نيران العدو.

محاصرة عبد القادر الحسيني :

وهنا اندفع عبد القادر الحسيني لينقذ الموقف، وأسرع خلف عدد من رفاقه، وقد اقتحم عبد القادر الحسيني القرية تحت وابل من نيران اليهود، واستمر القتال طوال الليل دون أن يتضح الموقف، ولما طلع فجر يوم ٨ نيسان أعلنت القيادة في ساحة القتال أن عبد القادر الحسيني وصحبه مطوقون في القرية، فأسرعت النجدة من القدس والمدن والقرى المجاورة باتجاه القسطل. وكان بينها

وهكذا هُجِّر أهالي القسطل من بلدتهم وهم لا يعلمون شيئاً عن غدهم، شرقاً إلى القدس يتجرعون كأس المصيبة التي حلت بهم على أمل الرجوع، تاركين وراءهم أرضهم أعز ما يملكون، ووزعوا في أبو ديس ووادي الجوز في القدس وغالبيتهم اليوم في العيزرية والأردن؛ يعيشون على أمل العودة إلى بلدتهم الحبيبة القسطل ... إن شاء الله.

فريق من حراس الحرم الشريف بقيادة عبد المجيد المدني الحجازي، وفريق من شباب القدس بقيادة بهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار. ومجموعة من جيش الإنقاذ بقيادة جمال رشيد العراقي، وأخرى من الخليل. وثلة من رجال قرى الوادية بقيادة رشيد عريقات.

ظل الموقف غامضاً صباح يوم ٨ نيسان في حين كانت النجيدات تصل تباعاً إلى ساحة المعركة، واستمر تبادل إطلاق النار بين الفريقين، ولكن المجاهدين كانوا يفكرون إلى التنظيم وتنقصهم القيادة الحكيمة، فجاءهم رشيد عريقات وسعى إلى تنظيمهم، وطلب تركيز نيران الأسلحة المتبقية جميعها على القرية لاقتحامها، ولم يكن مع المجاهدين آنذاك سوى مدفع هاون من عيار بوصتين وعدد من رشاشات برن ولويس.

اقتحام القسطل واستشهاد البطل :

وبدأ الاقتحام في الساعة ١١:٠٠، وانتهى في الساعة ١٤:٠٠ بدخول القرية وتحريرها، وقد فر اليهود باتجاه طريق القدس-يافا في الجهة الشمالية حيث ركبوا سياراتهم المصفحة وغادروا منطقة القسطل، وحوالي الساعة ١٤:٣٠ وجد المجاهدون القائد عبد القادر الحسيني شهيداً في أحد بيوت القسطل. وقد حاول قادتهم ألا يشغلهم ذلك عن استثمار النصر فطلبوا منهم متابعة القتال ومطاردة الأعداء. ولكن استشهاد عبد القادر الحسيني ترك في نفوس المجاهدين وقعاً أليماً فساد صفوفهم الارتباك، وفقد القادة سيطرتهم على الأفراد.

ثم بعثت رسائل سريعة إلى القرى المجاورة طلبت إرسال المناضلين للمرابطة في القرية والمحافظة عليها، ولكن الاستجابة كانت محدودة إذ شغل الناس باستشهاد عبد القادر الحسيني، وأخيراً غادر من بقي في القسطل مواقعهم في القرية فعاد اليهود واحتلوها ثانية يوم ١٩٤٨/٤/٩ وتمسكوا بها. وكانت معركة القسطل، رغم الظروف غير المتكافئة، مثلاً رائعاً من أمثلة التضحية الفردية والحماسة والاندفاع. ولكنها كانت أيضاً انتصاراً ضائعاً نتيجة ضعف التسليح والافتقار إلى التنظيم، وقلة الذخائر، وسوء الخدمات الطبية الميدانية ووسائل الاتصال.

ساعة القدس الدقاقة

أ. (محمد هاشم) موسى غوشه

تُعد ساعة القدس الدقاقة التي أزالها الإنجليز في العام ١٩٢٢م إحدى أبرز العماير العثمانية التي أحدثها سلاطين بني عثمان في مدينة القدس في مطلع القرن العشرين ، وهي إحدى المشاريع السلطانية القليلة التي تبنّاها سلاطين العثمانيين في هذه الديار المقدسة ، وقد بدأ العثمانيون بإنشاء هذه الساعة الدقاقة فوق برج باب الخليل في العام ١٩٠٢م وانهى البناء سنة ١٩٠٧م وأكمل عمل الرفراف الذي أحاط الساعة سنة ١٩٠٩م في زمن متصرف القدس علي أكرم بك وذلك احتفاءً باليوبيل الفضي لسلطنة السلطان عبد الحميد

الثاني ، وكانت تشبه في طرازها ووظيفتها ساعة Big Ben الشهيرة وسط مدينة لندن .

وتذكر أن أول من أشار إلى وجود الساعة الباحث Luncz في العام ١٩٠٢م ، وقال إنها أنشئت بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على خلافة السلطان عبد الحميد الثاني ، وذكر Hashkafa في العام ١٩٠٤م سبباً آخر لإنشاء الساعة يفيد أن كاظم بك طلب من بلدية

القدس تجميل مركز باب الخليل وإنشاء برج يحمل ساعة ضخمة .

يقول عارف العارف إن الذي عمل على إقامة برج الساعة متصرف القدس علي أكرم بك سنة ١٩٠٩م ، وهو ابن الشاعر التركي نامق كمال بك ، وأغلب الظن أنه شرع في بنائها سنة ١٩٠٢م ، وتواصلت أعمال الإنشاء في زمن متصرف القدس أحمد رشيد بك ١٩٠٧م - ١٩٠٨م احتفاءً بمرور ثلاثاً وثلاثين سنة على حكم السلطان العثماني عبد

الحميد الثاني .

ساعة القدس الدقاقة
فوق برج باب الخليل



وقد أنشئت ساعة أخرى محمولة على منارة في مدينة نابلس في سنة ١٣١٦م لي بمناسبة العيد الخامس والعشرين أو اليوبيل الفضي للسلطان عبد الحميد الثاني ، ووضع في أعلاها ساعة أهداها السلطان عبد الحميد لنابلس ما زالت موجودة نقش عليها ما يلي:

ماثر الخير بعيد الجلوس أشرقت الدنيا بها كالشموس

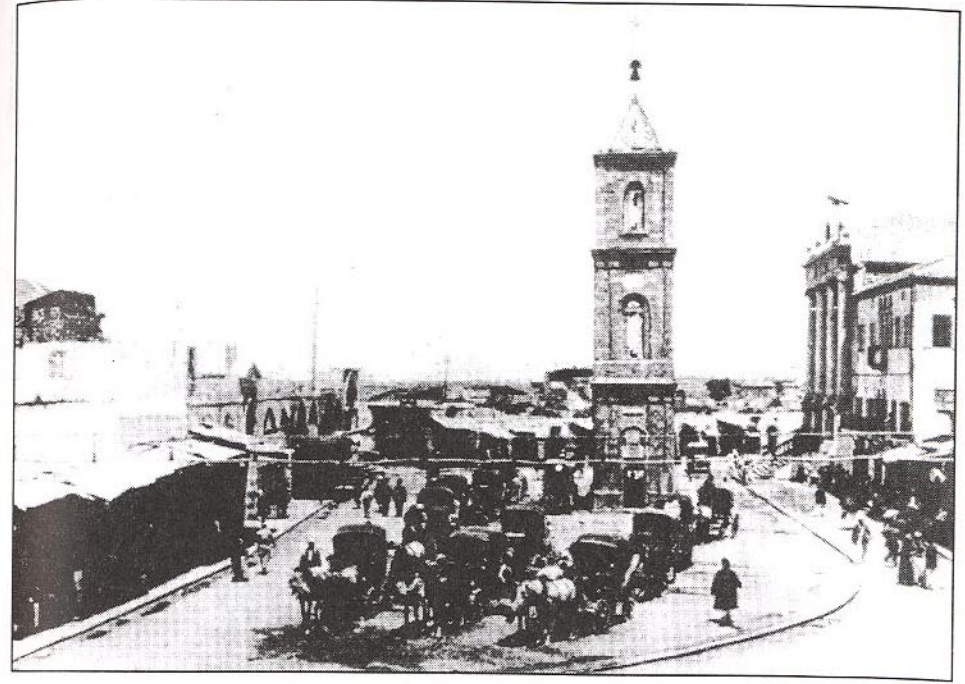
وكان من جملتها ذا البنا لساعة قد جلّيت كالعروس

فلحيي سلطان الوري غوثنا عبد الحميد الفرد تاج العروس

في عيده الفضي قد أنشئت ذكرى ليوم فيه طيب النفوس

منارة قد أسست أرخو بالأمن في فضي عيد الجلوس

سنة ١٣١٦م (١)



الساعة العثمانية في يافا وسط الساحة العامة

وأنشأ العثمانيون كذلك ساعة أخرى في عكا وثانية في حيفا وثالثة في يافا في ساحتها العامة بالقرب من مبنى السراي الكبير ، كما أنشأ رهبان اللاتين ساعة مرفوعة على برج دير الفرنسيسكان في القدس بالقرب من الباب الجديد المعروف بباب السلطان عبد الحميد الثاني ، وأنشأ العثمانيون في تركيا ساعات عديدة محمولة على أبراج مثل ساعة Adana وساعة Nigde وساعة Yozgat وغيرها .

لقد كانت ساعة القدس الدقاقة من المشاريع السلطانية العثمانية المتأخرة في مدينة القدس ، وقد جمعت تكاليف إنشائها من سُكَّان المدينة ، وبلغت كما يفيد Hashkafa ٢٠,٠٠٠ فرنك فرنسي بما يُعادل ٨٠٠ جنيه استرليني .



الواجهة الشرقية للساعة في العام ١٩١٠م

دخل الإنجليز إلى مدينة القدس في العام ١٩١٧م ، وفي العام ١٩٢٢م أزالوا هذه الساعة التي كانت دقائقها تُسمع من كل مكان في مدينة القدس وشاهد من معظم حارات القدس القديمة وأحيائها الجديدة خارج السور نظراً لارتفاعها وضخامتها، مما أدى إلى قلق حكومة الانتداب على مكانة ساعة لندن الدقاقة في الدولة التي لا تغيب الشمس عنها، حيث أقرت جمعية محبي القدس إزالة برج الساعة من مكانه فوق سور القدس.

لقد اختار السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مكان هذه الساعة فوق برج باب الخليل بعد أن أمر بهدم أجزاء من السور الملاصق للباب في العام ١٨٩٨م إثر زيارة ولهم الثاني امبراطور ألمانيا وملك بروسيا وزوجته أوغوستا فكتوريا كريمة ملكة بريطانيا عندما دخلا إلى القدس من هناك معلّنين صهوة جواديهما حتى لا يكونا تحت سقف أو سلطة أجنبية.

ويبدو أن بناء برج الساعة الدقاقة فوق باب الخليل وفوق المكان الذي بُلِم فيه سور القدس جاء للتأكيد على أهمية الباب عند سلاطين بني عثمان بالرغم مما أحدثوه سابقاً عندما ثلموا حجارة السور الملاصقة له ، كما أنّ ذلك يُذكر بأهمية أسوار وأبواب القدس التي أمر ببنائها السلطان سليمان الملقب بالقانوني في الفترة ما بين ١٥٣٧م - ١٥٤٢م.

ويصف المؤرخ العارف برج الساعة في كتابه المفضل في تاريخ القدس بقوله: (بناء مربع الشكل مرتفع .. كان يعرف بالساعة ، إذ كان في كل ضلع من أضلاعه الأربعة - عند القمة - ساعة كبيرة يراها السكان الساكنون في أي حي كان ..) ، ثم يعود في هامش الصفحة ويضيف قائلاً: (هدم الإنكليز ، عند احتلالهم القدس ، هذا البناء ، وبنوا بدلاً



الواجهة الغربية لبرج الساعة ويظهر سبيل السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٩١٠م

منه (برجاً للساعة) في الميدان الكائن أمام مبنى دار البلدية ، عند مفرق الطرق الموصلة إلى باب الخليل وطريق باب العمود وطريق المسكوبية ، ثم عادوا ، فهدموا هذا البرج أيضاً ، ولم يستبدلوه بغيره) .

لقد تشابهت ساعة القدس وساعة لندن إلى حد كبير في الشكل والوظيفة ، لذا عمد الإنجليز إلى إزالتها حتى تبقى ساعة لندن تدق وحيدة بعيداً عن ساعة السلطان العثماني ، ويرتفع برج الساعة الدقاقة تسعين قدماً عن مستوى سطح الأرض أسفل باب الخليل .

ويبلغ ارتفاعه من سطح برج الباب خمسين قدماً تقريباً ، ويذكر Hashkafa أن ارتفاع البرج يبلغ ١٣م ، ويعد طرازه وشكله الذي وصلنا من خلال صور فوتوغرافية قديمة من أجمل العمائر التي شيدها العثمانيون في هذه الديار ، وكان يمكن لجميع أهالي القدس مشاهدة ساعة القدس من جهات مختلفة وسماع صوت دقاتها الرنانة التي تنبه كلما أنهت عقارب الساعة سَين دقيقة .

لقد مر مشروع إنشاء الساعة وفق مراحل مختلفة ، حيث أن إحدى الصور الفوتوغرافية التي وصلتنا تشير إلى وجود رفراف أو تنده تحيط بمربع الساعة ، في حين تشير صور أخرى إلى غياب الرفراف المذكور ، وقد أكد لنا إنشاء الرفراف في فترة لاحقة للعام ١٩٠٨م صور فوتوغرافية مؤرخة في العام ١٩١٠م وصورة فوتوغرافية تظهر تفكيك ساعة بإيعاز من جمعية محبي القدس القدس وهي مُحاطة بالرفراف مؤرخة في العام ١٩٢٢م .



ساعة القدس الدقاقة سنة ١٩٠٩م

وكان موقع الساعة فوق البرج الجنوبي لباب الخليل حيث يصعد إليها من الأسفل من قاعدة أعرض من جسمها إلى باب علوي يفتح من الجهة الشمالية يرتفع نحو ١٩٠ سم يعلوه إطار مستطيل يشير إلى وجود نقش تأسيسي للبرج لم تنقله أقدام الباحثين أمثال ماكس فان برشم ، أما جسم الساعة فهو مربع الشكل تميزه حجارة بيضاء نظيفة ومكحلة تلفت النظر ويحيطه من جهاته الأربعة ثقباً رأسية تمتد مع ارتفاع برج الساعة يلتف حولها إطار مدبب الرأس يرتكز على عمودين يتألف كل واحد منهما من قسمين متصلين ببعضيهما البعض يعلوهما تيجان لطيفة .

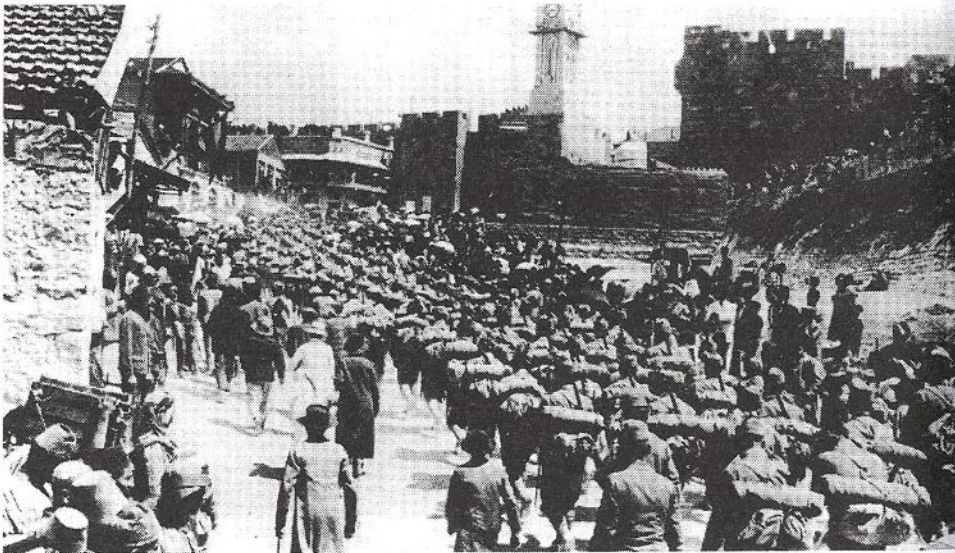
ويتخلل البرج فوق العقد المدبب المرفوع على الثقب الممتد مع ارتفاعه فتحتان جانبيتان في كل ضلع من الأضلاع الأربعة ، وقد غابت هذه الفتحات عند إنشاء التندة أو الرزاف سنة ١٩١٠م مما سهّل على موقتي الساعة إصلاحها إذا ما أصابها خلل ، وأصبح بالإمكان الصعود إلى مكان لا ينخفض عن دائرة الساعة الدقاقة أكثر من متر واحد فقط . وقد كُتب في مركز دوار الساعة التي أحضرت خصيصاً من فرنسا حروف إنجليزية تقول OXXI ، ويعلو هذه الساعة شكل قرميدي ثم خوذة البرج التي يتمها أربعة دوائر مرفوعة على قضيب يعلوها هلال في وسطه نجمة خماسية ، ويظهر من طراز بنائها وجود بصمات معمارية أوروبية أثرت على عمارتها لا سيما صفوف المداميك المتأثرة بالعمارة الألمانية كما هو الحال في مدرسة شميدت شمالي باب العمود .

لقد بقيت ساعة القدس الدقاقة قائمة حتى فككتها سلطات الإنتداب البريطاني سنة ١٩٢٢م ، ثم أعادت تركيبها في منطقة تشرف على مبنى بلدية القدس ، ثم أزالوها من

مغادرة قوات كمال باشا الى قناة السويس في سنة ١٩١٥ م
ويظهر برج الساعة الى يسار الصورة



الجيش النمساوي يسير بالقرب من برج الساعة في سنة ١٩١٥ م



جديد لأسباب أوضحناها سابقاً لم يفصح عنها كل من كان وراء إزالتها ، غير أن ساعة القدس سبقتي خالدة ما دام باب الخليل شامخاً في مكانه حتى يُعاد بناؤها وفق لوحة رسمنا ما قدّرنا الله من ألوانها والتي هي تُشكل صورة مقدسية لا زال الكثير من أجيال ذلك التاريخ يذكرون قصتها في أذهانهم وقلوبهم .

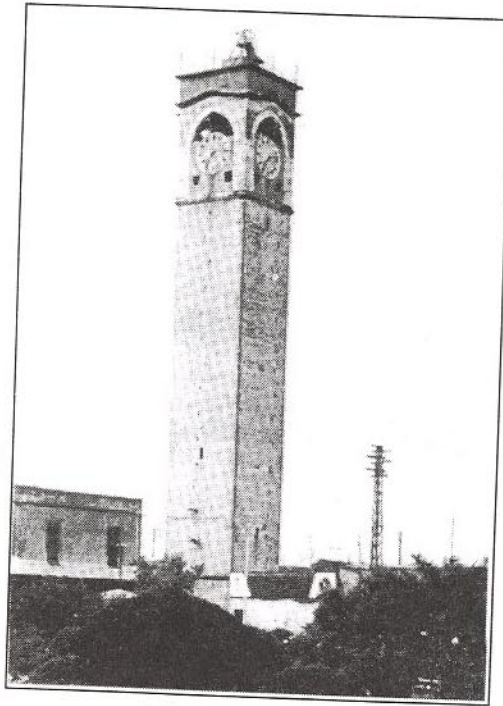


الساعة العثمانية في يافا

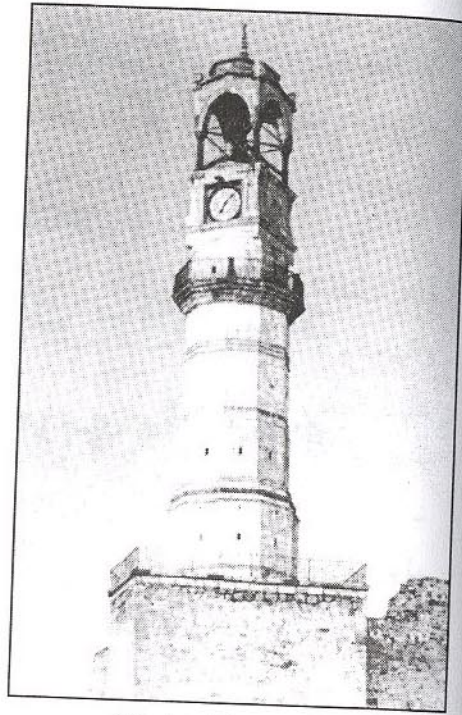
الساعة العثمانية في حيفا

الساعة العثمانية في عكا

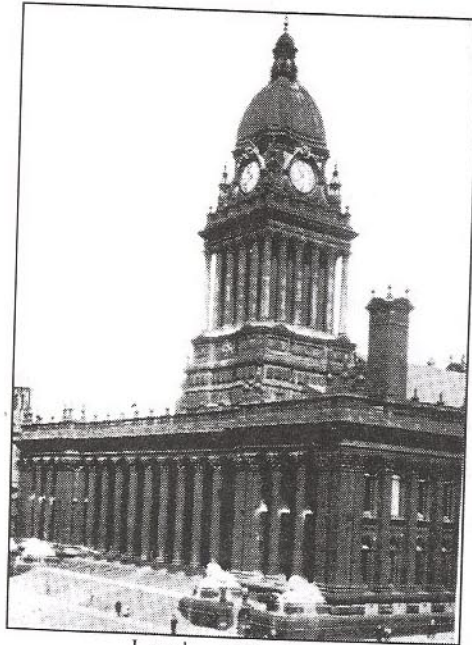
(١) استحدثت السنة الرومية سنة ١٢٠٩هـ وأصبحت تستخدم لضبط ميزانية الدولة ، وعُرفت السنة الرومية بالسنة المالية ، وتبدأ في أول نيسان وتنتهي في ٣١ آذار ، ونجد اليوم فرقاً بين السنة الرومية والهجرية ما يُقدّر بثلاث سنوات. أنظر: محمد طاهر أبو سعود القدسي، سאלنامه دهرية مفيدة، ص: ٥، لسنة ١٣٢٠هـ ، محمد صديق الجليلي، القونم الشمسي العثماني المسمى بالسنتين المالية الرومية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٢٣، ١٩٧٣م، ص: ٢٢٧-٢٢٨ ، مجلة المقطف، عدد يوليو ١٩٠٧م، ص: ٥٩٤ ، عدد أكتوبر ١٩١١م، ص: ٤٠٦ .



ساعة عثمانية في Adana



ساعة عثمانية في Nigde



برج الساعة في Leeds



ساعة عثمانية في Yozgat

لجنة القدس

الأهداف - التطبيقات - المنجزات

في ظل الراهنين العربي والإسلامي

أ. لطفي زغلول

قبل البدء أود التنويه إلى أن ورقتي هذه ليست بحثاً أو دراسة وإنما هي مقالة حاولت من خلالها أن اخلط بين الموضوعية وقليل من الحماس والانفعال والحمية، هذه العواطف التي باسم الحضارة والتحضر والعولمة والنظام العالمي الجديد تجرد خطابنا السياسي الحالي منها وبخاصة في قضية القدس، فأصبح خطابنا العربي بلا خطاب.

أولى البدايات أود أن استهل بالمقولة السياسية " إذا أردت أن تقتل قضية فشكل لها لجنة " .

وثانية هذه البدايات انوه إلى أن قلة من الجماهير العربية تعلم بأن هناك لجنة خاصة بالقدس مقرها المملكة المغربية، ذلك أن لجنة القدس الحالية " غائبة حاضرة " وأيام غيابها لا تعد ولا تحصى، وإن حضرت فحضورها لا يسمن ولا يغني من جوع، ذلك أنها تحضر بعد ساعة الصفر بكثير.

وثالثة هذه البدايات يفترض من اسم هذه اللجنة أن أهدافها تتمثل في حماية القدس ومقدساتها والمحافظة على طابعها العربي الإسلامي الفريد من عائلة التهويد والابتلاع من قبل الوحش الصهيوني الاستيطاني، والدفاع عن الحقين العربي والإسلامي فيها وفيما حولها وفي مقدماتها الحقوق الفلسطينية، علاوة على شحذ الهمم وتعبئة الجماهير لاسترداد هذه المدينة المقدسة بشتى الوسائل، وإغلاق

الصفحة السوداء التي ما زال التاريخان العربي والإسلامي مفتوحين عليها وينزفان جراءها، وليس ادل على ذلك من منظومة قراراتها وتوصياتها التي ليس لها رصيد لدى مؤسسيها.

ورابعة هذه البدايات وآخرها ملاحظات فيما يخص الأسلوب الذي انطلقت منه الأنظمة العربية والإسلامية وتنتهج لجنة القدس في بحث قضاياها العامة والهامة وعرضها أمام العالم، ويهمننا هنا " قضية القدس " فقد ارتكز هذا الأسلوب على الأسس التالية :

- التزام الصمت وعدم الاكتراث واللامبالاة.
- التداعي إلى اجتماعات يكون مستواها في الغالب منخفض التمثيل.
- الشجب والاستنكار والإدانة والرفض.
- إصدار قرارات مبهمة عائمة عامة ليس لها رصيد في الغالب.
- اللجوء إلى أسلوب مخاطبة الرأي العام العالمي أو المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة، مع علمها أن ليس هناك من يستمع إليها أو يحترم هذا الشكل من الطرح ذلك أن العالم لا يحترم في العادة إلا الأقوياء الذين يحلون مشكلاتهم بأنفسهم دون اللجوء إلى الآخرين.
- إن معظم القرارات في الغالب محلية وتصدر بلغات محلية ولا تصلح إلا للاستهلاك المحلي كونها لا تتمتع بمواصفات التصدير للخارج.
- إن المرء ليتساءل -كونه لا يعلم ما هي طبيعة عمل لجنة القدس، ولا طريقة تفكير أعضائها- وفيما إذا كانوا حقاً مطلعين أولاً بأول على ما آلت إليه الأوضاع في القدس، وهو أيضاً يتساءل عن ماهية ردود أفعالهم أو بتعبير اصح ردود أفعال أنظمتهم السياسية إزاء أكثر من ثلاثة عقود زمنية من التحديات الخطيرة التي انهالت على العالمين العربي والإسلامي تباعاً مستهدفة كرامتهما وتاريخهما وتراثهما واقدس مقدساتهما المتمثلة بالقدس بخاصة وفلسطين بعامة، والأسئلة كثيرة لا تعد ذلك انها بعدد التحديات التي ما زالت تتعرض لها مدينة الأجداد والآباء على مرأى من " مكتوفي الأيدي مكومومي الأفواه " .

ولسنا نشك في أن لجنة القدس ومن يقف وراءها وعلى مدى عمرها كله أنها تجهل مسلسل الأحداث المأساوية التي تعرضت لها القدس، ونسردها على سبيل التذكير :

١- بدء بإعلان توحيدها وضمها إلى الكيان الصهيوني وتوجيهها عاصمة أبدية له.
٢- ومرورا بتطويقها بحزام استيطاني محكم زاحف إلى كل ساحة وزقاق وشارع فيها بهدف الاستيلاء عليها واحدة واحدة.

٣- وانتهاء بمشروع توسيعها لغايات احتلالية تدعيمية تهويدية تستهدف تحصينها في وجه أية محاولات للمطالبة بها عربيا وإسلاميا وإحباط مجرد التفكير في استردادها.

٤- حملات التطهير العرقي المستمرة الهادفة إلى إخلاء المدينة من سكانها بشتي الوسائل، وأضيف من عندي التطهير الحضاري والثقافي.

٥- ونحن هنا لا ننسى في إطار منظومة التحديات هذه ما تعرض له كل من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة من اعتداءات استهدفت تارة حرقهما وتارة هدمهما وتارة زعزعة أساسيهما وخلخلتهما.

٦- وإذا كنا سعداء حتى الآن من أن العابثين ليلا نهارا لم يتمكنوا من دخول ساحتيهما أو اقتحامهما، إلا أننا لا ننسى أنهم يسرحون ويمرحون في أنفاق حفرت تحتها لغايات لم تعد خافية على أحد.

وإسرائيل أيضا :

١- لم تغفل لحظة واحدة عن توجيه رسائلها ليس إلى الفلسطينيين وحدهم وإنما إلى العرب والمسلمين كافة تحمل أبجدية التحدي والمساس بانتماءاتهم التاريخية والعقائدية والاستخفاف بها. وهي تعلم مدى قداسة القدس بالنسبة لهم، وارتباطهم بها روحا وجسدا وتاريخا وعقيدة.

٢- وهي بنفس الولايات المتحدة الأميركية لا تتحدى العالمين العربي والإسلامي فحسب بل انها تجاوزتها إلى تحدي ما يسمى بالمجتمع الدولي والقرارات الدولية، فهي إلى جانب كونها لا تأبه بالقرارات الصادرة عن الأمم المتحدة وتضرب عرض الحائط بها فإ هي الآن تلغيها من طرف واحد وتعتبرها باطلة، ونقصد هنا كل القرارات الخاصة بالقدس.

٣- ومن جهتها وما دام الأمر على هذا الحال من اللامبالاة واللاجدية من قبل الأنظمة العربية والإسلامية، وبخاصة أن الحديث عن القدس يتم بصوت خافت غير مسموع، فإن هذا وحده يفتح شهيتها لافتراسها، وأصدقائها في الكونغرس الأميركي يقدمون القدس لها، بوعد بلفوري جديد " عاصمة أبدية ".

٤- وهي أيضا تفسر تراخي الأنظمة العربية والإسلامية وعدم جدتها أو قيامها بأي رد فعل مناسب ومعاكس لأفعالها انه بمثابة ضوء اخضر يتيح لها أن تتصرف على هواها وكما تشاء وأن تتماذى في مشروعاتها التهودية ما دامت الأطراف المعنية قد آثرت أن تدور في دائرة الردود اللفظية ولم تحلوا أن تدخل إطار ممارسة ما ينبغي من الأفعال.

٥- وقد انتظرت إسرائيل طويلا إلا أنها أخيرا شعرت أن ليس هناك من قوة حقيقية أمامها إلا الفلسطينيين الذين كما يبدو خذلهم أشقاؤهم أو تخلوا عنهم أو تركوهم يكملون مشوارهم لوحدهم، جراء فقدانهم مساحة شاسعة من العمقين العربي والإسلامي.

إن الحديث عن القدس ذو شجون وأشجان فإلى جانب ما ذكرنا من أفعال وسياسات عدائية تمارس على أرض الواقع، فهناك بعد آخر لهذه الحملة التي لا تقف عند حد :

١- فالقدس تتعرض لاغتصاب شامل من جهات ترتكب الفعل وأخرى تؤيد وتناصر وتدعم وتقرر كما تشاء.

٢- وهذه الجهات تصر على تلقين العرب والمسلمين ثقافة عولمية جديدة أساسها تغيير المفاهيم والقيم تعتبر الحديث عن حق مشروع في القدس وغيرها تحريضا وإرهابا.

٣- وهي أيضا سادرة في تسويق المقولات المضللة والحجج المشبوهة التي مفادها أن العرب والمسلمين ما كانوا إلا غزاة ومحتلين لها وانها لم تشكل حسب ادعائهم قيمة ما في تاريخهم ولا حتى قداستهم وليس ادل على ذلك من إلغائها كقبلة لهم.

٤- وهي أيضا تعمل على تزوير التاريخ العربي الإسلامي وتشويهه خدمة لتاريخ آخر هو تاريخها تريد أن تحفر له أسسا وقواعد في جغرافيا ليست لها .
وعلىنا أن نعترف أن ردود أفعال العرب والمسلمين تجاه كل ما كان يدور في القدس هي المسؤولة الأولى عن تمادي إسرائيل ذلك أنها كانت باهتة تفتقر إلى عنصر الجدية والاهتمام وأنها تتصف باللامبالاة والفردية والشردمة، وينقصها عامل العمق القومي والوحدوي وأكثر من ذلك أنها لم تتطرق من اعتبارات عقائدية حقة، وباختصار ليس لهم استراتيجية في حين أن إسرائيل أعدت لها استراتيجية شاملة حتى قبل احتلالها وطبقها فيما بعد على ضوء مسلسل التهاون والعجز العربي والإسلامي.

وهنا لابد من أن نسوق بعض الملاحظات عن الأنظمة العربية والإسلامية فيما يخص موضوع القدس وقضيتها ولجنتها :

- إن كل الأنظمة والأمم في العالم لها خطوط حمراء تحمي مقومات وجودها، وعلى ما يبدو أن العالمين العربي والإسلامي يفتقران حتى الآن إلى مثل هذه الخطوط، وكان من المفترض أن تكون القدس أحد هذه الخطوط عربيا وإسلاميا.

- إن قضية القدس من القضايا الكبيرة التي تواجه العالمين العربي والإسلامي ويفترض أن تبحث على أعلى المستويات السياسية العربية والإسلامية. وإن الاعتماد على لجنة القدس بتمثيل منخفض ما هو إلا تهرب من المسؤوليات التي تفرض عقد مؤتمرات قمة شاملة للبت النهائي في موضوع القدس بهدف إعداد استراتيجية البدء بتنفيذها ومتابعة هذا التنفيذ، وما عدا ذلك يكون "ضحكا على الذقون" وحرثا في البحر.

- إن ما يؤسف له أن يكون هناك انقسام في الرأي حتى في قراراتها وتوصياتها "الخالية من الدسم" وأن يكون هناك "معتدلون داخل اللجنة ومتشددون"، فالقدس بحاجة إلى نفس واحد غير متقطع ولا لاهث، وإذا كانت الأنظمة العربية والإسلامية قد اختلفت فيما بينها على أشياء كثيرة فيفترض أن تكون القدس عامل توحيد لا تفريق ذلك أنها أسمى من كل الخلافات والمصالح الشخصية، والاهتمامات الإقليمية الضيقة.

- ولعل الأذى من ذلك كله وهذا ما تقوله جهات غربية : " غريب أمر العرب والمسلمين، انهم يشكلون حوالي خمس وخمسين دولة، ويعدون أكثر من مليار وثلاث المليار نسمة، ويملكون ثروات لا طائل لها، وجغرافيا لا ينقصها أي شكل من أشكال تضاريس العالم، وتاريخ زاخر بالمجد والبطولات والحضور على كافة الصعد، ومع ذلك تراهم اليوم يقفون على أرصفة الشوارع السياسية يستجدون حلولاً لمشكلاتهم ".

- ولا يزال الحديث عن لجنة القدس، فحينما تشكلت هذه اللجنة ذات يوم خيل للجماهير العربية ان هناك توجهها ما لإنقاذ هذه المدينة من براثن تهديد إلى الاستيلاء عليها، وتدمير كل ما هو عربي إسلامي من طابعها الفريد المميز. وقد طال انتظار هذه الجماهير عقدا بعد عقد بعد عقد، والنتيجة أن شيئا من التوقعات والآمال لم يتحقق، وظل الجرح يكبر ويكبر جراء الصمت العربي والإسلامي.

- وجراء التخاذل والعجز وربما اللامبالاة وانفراط عقد المصالح القومية والعقائدية الكبرى على مذبح السیادات الإقليمية الضيقة والأنانيات التي استشرت في أوصال الأنظمة السياسية، فكرست المصالح المحلية الآنية، وكل ذلك وغيره أعطى إسرائيل الضوء الأخضر لتفعل ما فعلته وتخطط لما تريد أن تفعله مستقبلا، وهو على ما يبدو كثير.

- وهنا وفي هذا المجال نسمح لأنفسنا أن نؤكد أن عقليتي الأنظمة العربية والإسلامية، بحاجة إلى تفكير من نمط جديد فيما يخص تحديات كثيرة وفي مقدمتها إسرائيل التي لا تفهم إلا لغة القوة وتطبيق الأهداف على أرض الواقع وشهيتها لتحدي الضعفاء على الدوام مشرعة على مصراعها.

- وأخيرا لا أخرا إن القدس في الدرجة الأولى قضية فلسطينية عربية إسلامية الجذور والمنتمى، ويفترض أن تحتل المكانة التي تستحقها في سياسات أصحابها، وإذا كانت قضيتها قد أجلت إلى مفاوضات المرحلة النهائية. فما هي مبررات الأنظمة العربية والإسلامية المعنية ان تجمد عواطفها ومشاعرها وأحاسيسها كما هو حاصل وتؤجلها هي الأخرى.

وختاماً فثمة تحفظات على ما يدور في أذهان الآخرين تجاه القدس :

- إن أي تفكير بالاكْتفاء بسحب الممثلين وإيقاف التطبيع السياسي والاقتصادي مع إسرائيل غير كاف ولا يرقى إلى مستوى القضية وهو كما يبدو يمنح الراحة التامة وحرية الحركة والتفكير والتخطيط والتنفيذ والتوسع الأفقي والعمودي وفي كل الاتجاهات لإسرائيل ما دام هذا هو الرد النهائي الأمر الذي يريح أعصابها ويفتح قريحتها على مزيد من التحدي والممارسات التهويدية.

- إن الفلسطينيين الذين عاشوا قضية القدس يوماً فيوماً حدثاً فحدثاً جرحاً فجرحاً يفخرون ويسعدهم أن يكونوا على الدوام إلى جانب القدس فهي بلا شك قضيتهم، ولكن الاكتفاء بهذا البعد فيه إجحاف بحق القدس التي لها أبعاد أخرى غير فلسطينية، ونقصد بها الأبعاد العربية والإسلامية، إذ ينبغي التركيز عليها والانطلاق منها وتفعيلها، وهذا لا يتنافى وكون القدس عاصمة الفلسطينيين الذين هم عرب وغالبيتهم مسلمون، وفي المحصلة النهائية فالقدس عاصمة روحية للمسلمين كافة في شتى أنحاء المعمورة، وهي أمانة في أعناقهم جميعاً غير قابلة " للتجيير " .

- إن الحديث عن المال لدعم القدس لا ينبغي له أن يكون عابراً أو مجرد " صدقة " فإذا لم يكن هذا المال موازياً في حجمه وكميته وأهدافه للمال الصهيوني الذي ينصب على مشروعات تهويد القدس وافتراسها، فعندئذ يفقد قيمته ويصبح بلا فائدة .

- وما لم تصبح ثقافة القدس " خبز التفكير السياسي اليومي العربي والإسلامي " وفي مقدماتها الأنظمة السياسية، وما لم يكن رد الفعل مساوياً على الأقل للفعل، وما لم يكن التصدي على قدر التحدي، فإننا عندئذ لا نجانب الحقيقة، ولا نلقي بالكلام على عواهنه، إذا ما أكدنا أن هذه الأنظمة تكون فعلاً قد تنازلت طوعاً وبأبْخس الأثمان عن زهرة التاريخ طوال عصوره .

وأخيراً لا آخراً، وحيث أننا لا نفرق بين لجنة القدس والأنظمة السياسية العربية والإسلامية التي أوجدتها، فنحن هنا نتساءل ونسأل في آن واحد معا :

١- لماذا لا ترد لجنة القدس مباشرة على مسلسل التصريحات الأخيرة لـ

إسرائيل والتزمت جانب الصمت ؟

٢- لماذا لا تصدر عنها نشرات دورية عن نشاطاتها وأعمالها وتكتفي فقط ببيانات ختامية كلما اجتمعت ؟

٣- لماذا لا يكون هناك رد صريح وواضح عربي وإسلامي على تدخل الكونغرس غير المشروع في قضية عربية إسلامية ؟

٤- ماذا أعدت الأنظمة العربية والإسلامية غير إنشاء هذه اللجنة مشلولة الفاعلية لاسترجاع القدس وتحريرها ؟

٥- هل تفكر هذه الأنظمة حقيقة بالقدس، وما هي مساحة هذا التفكير من مجمل سياساتها الداخلية والخارجية ؟

٦- ما هي المساحة التي تحتلها القدس في المناهج التربوية العربية والإسلامية ؟

٧- ماذا يعرف الناشئة في العالمين العربي والإسلامي عن القدس في ظل هذا التعتيم والتهميش المقصودين عليها ؟

٨- كم تصريحاً سياسياً لزعيم عربي أو إسلامي خارج حدود فلسطين حظيت به القدس ؟

٩- وثمة أسئلة بسيطة تطرح نفسها هنا لا نجد ضيراً في سردها :

أ. كم ميداناً وكم شارعاً وكم مشروعاً وكم فندقاً وكم مؤسسة وكم جائزة تحمل اسم القدس في العالمين العربي والإسلامي ؟

ب. كم مهرجاناً يقام سنوياً على شرفها ؟

ت. كم مسلسلاً تلفزيونياً وكم فلماً سينمائياً صدر عنها حتى الآن ؟

ث. كم برنامجاً تلفزيونياً وإذاعياً مخصصاً لها في وسائل الإعلام العربية والإسلامية ؟

ج. كم مؤلفاً تاريخياً، وكم ديوان شعر، وكم رواية، وكم أغنية صدرت عن القدس ؟

القدس من عهد النبي داود

حتى الفتح العمري

د. محمد حافظ الشريدة

مقدمة :

الحمد لله وكفى، والسلام على أنبيائه الذين اصطفى، وبعد،

فقد كانت الجزيرة العربية الشريان الذي يمدّ الأرض المجاورة : الشام والعراق ومصر بدماء جديدة، وقد سكن الكنعانيون ساحل بلاد الشام في الألف الثالثة قبل الميلاد، وأطلق عليهم في الساحل الشمالي اسم : " الفنيقيين "، وأطلق على القسم الجنوبي اسم : " أرض كنعان ". وكان اليبوسيون هم أهم بطون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها اسم : " أورسالم " أي مدينة سالم، كما أطلقوا عليها اسم " ييوس ".

وعندما كان اليهود على حظّ من التقوى : مكن الله لهم في الأرض وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وبعد أن انحرفوا عن الجادة وغرقوا في الشهوات ... سقط اللواء من أيديهم وسلط الله عليهم من سامهم سوء العذاب! لقد جرت سنة الله في خلقه : أن يجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى! فبعد وفاة نبي الله يوشع بن نون - عليه السلام - تولى القضاة أمور اليهود، وفي هذا العهد اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتعلموا لغتهم وأخذوا عنهم الزراعة وسكنى المدن، وعبدوا آلهتهم من دون الله! ثم اتحد العبرانيون وكونوا لهم دولة عام (١٠٢٥ ق.م)، وكان أول ملوكهم شاول أي (طالوت) المذكور في الآية الكريمة :
" إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً " (سورة البقرة آية ٢٤٧).

وعند إحصاء الإجابات عن هذه الأسئلة وفرزها ما بين موجب وسالب سنكون ساعته على معرفة تامة بحقيقة الأهداف والمنجزات التي تأسست من أجلها لجنة القدس.

وخلاصة القول أن القدس هي منطلق تحرير فضاءات التاريخين العربي والإسلامي من عتمة حالكة سودت أيامهما، وإن أمانة المسؤولية الإنتمائية تفرض على الأجيال العربية والإسلامية أن تعيد الإضاءة إلى هذه الفضاءات، لكن الطريقة التي تدعي الأنظمة العربية والإسلامية أنها تسلكها إلى القدس ليست في الواقع هي الطريق والطريقة. وإذا كانت هذه الأنظمة تجهل الطريق الحقيقية إليها، فلتعد إلى التاريخ، ذلك أننا على ثقة تامة أن قراءة التاريخ واستقراء أحداثه يجددان مشاعر الانتماء ويعمقانها، فالأزمة في اعتقادنا تكمن في الانسلاخ عن التاريخ والابتعاد عن مساراته الحقيقية والتفريط في الجغرافيا والتهاون في الدفاع عنها، والتشردم والتقوقع وهي أمراض جلبتها هذه الأنظمة على نفسها طوعا، وعكس ذلك صحيح تماما، فعندئذ تصبح كل الخيارات أيا كانت متاحة وقابلة للتنفيذ ما دامت دفاعا عن حق شرعي موروث. والقدس كانت ولا تزال هذا الحق الموروث الذي لم ولن يتخلى عنه المطالب الشرعي الأوحد.

القدس في عهد داود - عليه السلام - (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) :

لقد كان حكم طالوت - رضي الله عنه - تمهيداً لحكم داود - عليه السلام - ومقدمة للفترة الذهبية من تاريخ بني إسرائيل التي تمثل أعلى قمة وصل إليها اليهود! لقد اشتهر داود بعد قتله جالوت الفلسطيني وانتصاره على القوم الكافرين، وآتاه الله النبوة والملك والحكمة وعلمه مما يشاء، وحكم داود بني إسرائيل من بعد طالوت. وقد كان داود نبياً كريماً وخليفة عادلاً، وكانت فترة حكمه تمثل الحكم الإسلامي الرشيد، فنعم لليهود في عهده بالأمن والاستقرار والعدل والصلاح، وآتاهم الله حين آمنوا ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ولا يظلم ربك أحداً. وقد عاشت الدولة الإسرائيلية المسلمة في عهد داود في ازدهار اقتصادي وتقدم صناعي وخاصة الصناعة الحربية العسكرية، حيث هدى الله داود إلى طريقة صنع الأسلحة والأدوات الضرورية للجنود، وهكذا فإن حكومة اليهود في عهد داود كانت متميزة في جميع نواحي الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والأخلاقية والعلمية ... وهكذا فقد أخذ داود القدس من الليوسيين وجعلها عاصمة لأول دولة إسلامية في العالم!

القدس في عهد سليمان - عليه السلام - (٩٦٠ - ٩٣٥ ق.م) :

كانت فترة حكم سليمان امتداداً لفترة حكم أبيه داود، وقد كان سليمان كأبيه نبياً رسولاً وخليفة ملكاً وعابداً مجاهداً وصالحاً مصلحاً. وسعد اليهود في عهده كما كان الحال في زمن والده، وبلغت الدولة الإسرائيلية اليهودية المسلمة في عهده أوج عظمتها وأرفع قممها وأسمى فترات حياتها وذرورة سلطانها الدولي والاقتصادي والسياسي، واتسعت رقعتها حتى وصلت إلى اليمن (بلاد العرب السعيدة)، حيث دخلت ملكة سبأ في الإسلام وضمت مملكتها في اليمن إلى سلطان سليمان! وقد وهب الله لسليمان ما لم يعطه أحداً من العالمين : فقد آتاه الله النبوة والملك العظيم، وسخر الله له الريح وجعلها خاضعة لأمره، ومكنه الله من الصناعات المعدنية والعسكرية ... وأخضع له الجن والشياطين يوطدون حكمه الإسلامي الرشيد، وعلمه الله كذلك منطق الطير ولغة الحشرات، وجعل في جيشه من كل الفئات : الإنس والجن والريح والحيوانات ... وكانوا يسرون معه بترتيب ونظام وانضباط

وانسجام! وقد استخدم سليمان جنده في طاعة الله ونشر دعوة التوحيد ورفع الظلم عن الآخرين، وقد اهتم بمدينة القدس، وبنى فيها المسجد الأقصى المبارك. نعم، يحق لبني إسرائيل المسلمين - ممن عاشوا قبل البعثة المحمدية - أن يعتزوا بحكم داود وسليمان، ولكن لا يحق لليهود الكافرين بعد ذلك أن يفاخروا بحكمهما أو أن ينتسبوا إليهما أو أن يجعلوا حكمهما يهودياً أو أن يدخلوا تاريخهما ضمن تاريخ سلالة عبدة العجل والذهب! إن دولة داود وسليمان دولة إسلامية عالمية بحق، حيث إن الدين عند الله الإسلام، وإن كل الأنبياء السابقين وإن جميع أتباعهم الصالحين ... جزء لا يتجزأ من قافلة الإيمان على مدار التاريخ، منذ آدم - عليه السلام - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. إن فترات حكم أنبياء بني إسرائيل ومن تبعهم بإحسان من المؤمنين تعتبر سلسلة حلقات إيمانية رائعة من أنظمة الحكم الإسلامي الرشيد السعيد.

بهذه النظرة فحسب نقدر أنبياء الله - من بني إسرائيل وغيرهم - وننزه فترة حكم سليمان وأبيه من افتراءات يهود وتشويهات تلمود، فنحن أولى بسليمان ودولته من الصهانية والمستوطنين وأعدائنا المتدينين والعلمانيين!!

القدس في عهد رحبعام وربعام :

بعد وفاة سليمان عام (٩٣٥ ق.م) خلفه في الحكم ابنه رحبعام الذي أصبح ملكاً لدولة اليهود، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في القدس على ذلك، ثم اتجه رحبعام إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط فاجتمع شيوخ بني إسرائيل في "شكيم" (نابلس)، وانضم إليهم القائد ربعام، الذي كان قد ثار على أبيه سليمان، وفشلت ثورته فهرب إلى مصر وعاد إلى فلسطين بعد وفاة سليمان، وقال رحبعام لقومه : إن أباه أدبهم بالسياط وأنه سيؤدبهم بالعقارب! ولذلك رفض شيوخ الأسباط في الشمال أن يبايعوه، وبايع الأسباط العشرة (ربعام) ملكاً عليهم، وأراد رحبعام أن يحارب أخاه، ولكن النبي شمعي - كما تقول إحدى الروايات - نصحه بالعدول عن الحرب فاستجاب لنصيحته ... وهكذا انقسمت مملكة اليهود إلى قسمين : جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم (القدس)، وشمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس). كانت علاقة الدولتين ببعضهما عدائية فاستغل فرعون

مصر (شيشنق) الصراع بين دولتي اليهود فغزا أرض كنعان (فلسطين)، ونهب
أورشليم وبسط سيطرته على دولة يهوذا ثم على دولة إسرائيل بعد ذلك.
لم تقم لبني إسرائيل قائمة بعد سليمان - عليه السلام - وبالذات بعد
رحبعام ويربعام، وقضى الله أن يضع فيهم التعذيب والإذلال والاضطهاد وأن لا
يرفعه عنهم بسبب كفرهم وظلمهم للعباد وإفسادهم في البلاد! والحق يقال إن
تاريخهم بعد سليمان هو حلقات متصلة ومشاهد متلاحقة من الذل والتشريد
والاستعباد!

القدس في عهد الآشوريين :

ما إن جاءت سنة ٧٢٢ ق.م حتى محت يد الأسر الآشوري بقيادة
" سرجون الثاني " مملكة إسرائيل من الوجود، وبقيت مملكة يهوذا تكافح وتدافع
عن نفسها إلى أن سقطت بيد البابليين عام ٥٨٦ ق.م، على يد بخت نصر " نبوخذ
نصر الكلداني "، حيث أحرق العاصمة أورشليم وهدم الهيكل وسبى العبرانيين إلى
بابل في بلاد الرافدين، وبذا زالت دولة العبرانيين من الوجود، وهذا هو التدمير
الأول لمدينة أورشليم القدس، وهكذا عادت أرض كنعان عربية فلسطينية من جديد،
بعد أن سلب الله على بني إسرائيل أناساً أولي بأس شديد، وما ربك بظلام للعبيد!.

القدس في عهد الفرس :

خلت فلسطين تقريباً من اليهود إثر سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا، وفي
عام (٥٣٨ ق.م) احتل " قورش " ملك الفرس ديار الشام وضمها إلى دولته
الواسعة، واستطاعت " أستير " اليهودية أن توقعه بحبالها، وقدم له اليهود كل ما
طلبه من مساعدات واستشارات ... فسمح قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين، ولكن
أكثرية بني إسرائيل كانت قد ألفت الحياة البابلية، ولم تقبل العودة إلى أرض كنعان
سوى قلة قليلة من العبرانيين الذين أعادوا بناء القدس وبناء الهيكل عام (٥١٥
ق.م)، وصاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي، ومع ذلك فقد كانت المناوشات لا
تنتقطع بينهم وبين حكامهم الفرس! ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة يهودي تعني من
اعتنق اليهودية ولم لو يكن من بني إسرائيل!!

القدس في عهد اليونانيين :

انتهى الحكم الفارسي لفلسطين والشام على يد الإسكندر المقدوني عام
(٣٣٢ ق.م) وبعد وفاة الإسكندر الكبير، حدث نزاع مرير بين كبار قادته ومنهم
: " بطليموس " و " سلقوس " وصارت أرض كنعان (فلسطين) مسرحاً لنزاع
البطالسة الذين حكموا مصر والسلوقيين الذين حكموا الشام! وقد حاول اليونانيون
نشر حضارتهم " الهيلينية " في الشام، ولكن تأثيرهم - والحق يقال - كان سطحياً
ومحصوراً في المدن فحسب!

القدس في عهد المكابيين اليهود :

لم يستقر اليهود في ظل الحكم اليوناني، ومن أبرز ثوراتهم في هذا العهد
تلك الثورة التي قاموا بها عام (١٦٧ ق.م) بقيادة الكاهن " ماثياس " الذي هزمه
الأعداء ومات في العام التالي، فتولى ابنه الكاهن " مكابياس " قيادة الثائرين اليهود،
ولكنه دفع حياته عام (١٦١ ق.م) ثمناً لثورته وعصيانه! وفي عام (١٠٤ ق.م)
استطاع القائد المكابي " أرسطوبولس " أن يصبح ملكاً على فلسطين ولكن عهده لم
يطل. إن المكابيين ينتسبون للكاهن " مكابياس " وهم فريق من كهنة اليهود اتصفوا
بالحنكة وكانوا أقرب إلى القيادة منهم إلى رجال الدين، وقد استطاعوا أن يستقلوا
بحكم أورشليم فترة قصيرة من الزمن، وفي عام (٦٣ ق.م) كان الخلاف شديداً
بين المكابيين أنفسهم فضعف مركزهم وطمع بهم عدوهم!

القدس في عهد الرومان :

انتهزت الدولة الرومانية فرصة الصراع الداخلي بين اليهود أنفسهم وبين
اليهود وأعدائهم فاكتمح الرومان فلسطين عام (٦٣ ق.م) وذلك على يد القائد
الشهير بامبيوس " بومبي " .
وهكذا حلت أسرة (هيردوتس) بقيادة هيردوس الكبير محل المكابيين الذي
قضى عليهم قضاءً مبرماً!

وفي عهد الرومانيين بعث السيد المسيح - عليه السلام - في أرض كنعان
في عهد الإمبراطور " أغسطس قيصر "، وقد اعتنق الإمبراطور الروماني

مراجع البحث

- ١- نافذة على القدس المباركة - ملحق مجلة الاستقامة، إصدار : المجلس العلمي للدعوة السلفية (فلسطين، ١٩٩٩م) .
- ٢- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .
- الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ط١، دار القلم (دمشق، ١٤١٩هـ) .
- ٣- د. جميل عبد الله المصري .
- مكتبة العبيكان، ط٢، (السعودية، ١٤٠٩هـ) .
- ٤- الشيخ عبد الحميد كشك .
- نفحات من الدراسات الإسلامية، المكتب المصري الحديث (١٩٧٩م) .
- ٥- فلسطين من منظور إسلامي : بحث على الآلة الكاتبة للباحث .
- ٦- فضائل بيت المقدس : بحث على الآلة الكاتبة للباحث .
- ٧- د. أحمد شلبي .
- اليهودية (مقارنة الأديان)، ط١، مصر .

" قسطنطين " الديانة النصرانية واتخذها الدين الرسمي للدولة. وقد حاول اليهود الثورة على الرومان عام (٧٠م) فقام القائد الروماني " تيطس " بقيادة حملة عسكرية دخلت القدس، وتم إحراق الهيكل وتدميره مرة ثانية، وأعمل في المدينة النهب والقتل والحرق، وشرّد أهلها ونكّل بهم أسوأ تنكيل!! وهذا هو التدمير الثاني للقدس والهيكل.

وقام اليهود بانتفاضة عارمة عام (١٣٥م)، زمن الإمبراطور الروماني أدريانوس " هاردين " فقاد بنفسه حملة عسكرية، وأزال معالم اليهود في أورشليم في نفس العام، ومنع اليهود من دخول المدينة المقدسة وأسماها بـ : " إيليا ". وتعتبر هذه السنة (١٣٥م) نهاية للوجود اليهودي في أرض كنعان حتى الفتح الإسلامي العمري لها عام (٦٣٦م) الموافق للعام الخامس عشر من الهجرة النبوية المشرفة. وهكذا فقد خلت فلسطين من اليهود خمسة قرون متواصلة!

الفتح الإسلامي للقدس :

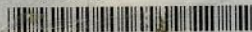
بعد التحاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى، قام المسلمون بمهمة الدعوة والتبليغ وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإيمان، وأرسل الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عمرو بن العاص - رضي الله عنه - لفتح فلسطين، فطلب أهل القدس من الخليفة الجديد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن يتسلم مفاتيح المدينة المقدسة بنفسه، فجاء إلى القدس وتسلم المفاتيح من بطريقها صفرونيوس عام (١٥هـ). وصدرت العهدة العمرية ونصت على أن لا يسكن إيلياء يهودي! وقد ظهرت أهمية القدس في الإسلام بسبب كونها قبلة المسلمين الأولى، وبسبب حادثة الإسراء والمعراج، وبسبب كونها أرض الأنبياء، وعش العلماء، ومهبط ملائكة السماء، ومثوى الشهداء، ومهوى أفئدة الأتقياء.

لقد كانت القدس إسلامية زمن الأنبياء، ورجعت إلى الإسلام زمن الخلفاء، ولن يعيدها للإسلام سوى الأبطال الأشداء من العلماء والأتقياء والأوفياء. وما ذلك على الله بعزيز!



تصميم وطباعة النصر / حجاوي
نابلس - هاتف ٠٩/٢٣٧٩٩٩٤

مكتبة جامعة النجاح الوطنية



NL224473